الباب الثاني

أساليب القرآن في الدعوة إلى العبودية

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: الطلب.

الفصل الثاني: الخبر.

الفصل الثالث: القصص.

الفصل الرابع: ضرب الأمثال.

الفصل الأول

الطلب

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: الأمر.

المبحث الثاني: النهي.

المبحث الثالث: الاستفهام.

المبحث الرابع: الدعاء.

المبحث الخامس: النفي.

المبحث السادس: التعجب.

المبحث السابع: النداء.

المبحث الأول

الأمـــــر

تعريف الطلب

الطلب لغة: طَلَبَ الشيءَ طَلَبا ومطلبا، وطِلابا، وطِلاَبةً،.... وطالبته بحقّ لي عليه ولي عنده طلبه بغية، أو حق تجب مطالبته[١].

اصطلاحاً: ما سوى الخبر، مما أفاد طلباً أو قسيمه، فالطلب هو: الأساليب المتضمنة له كالأمر والنهي... الخ، فالمراد بقسيم الطلب هو: ما لم يفد طلبا كصيغ العقود والقسم، والتعجب، والرجاء، والمدح والذم[٢].

الأمر في اللغة: ضد النهي، وهو بمعنى: الطلب. ويأتي على صيغة افعل كذا وهو المطلوب في هذا المبحث.

أمرتُ فلاناً أمَره أي (بما ينبغي له من الخبر) وتقول: أمرته فأتمر وأبى أن يأتمر، أي استبد و لم يمتثل. والعرب تقول: أمرتك أن تفعل ولتفعل، وبأن تفعل والجمع الأوامر[٣] .

وتعريفه اصطلاحاً: اقتضاء الفعل، أو استدعاء الفعل بالقول ممن هو دونه[٤].

وصيغة الأمر المطلقة إذا تجردت عن القرائن، فإنها تفيد الوجوب وهذا ما عليه عامة أهل العلم سلفاً وخلفا[٥].

مثل قوله: â $gƒ'»7 وقوله[٦] á $Z¡ôî Èè¢Î°qø¢r $\œ© ¾ìî fqäîê èŵr ©$frßçâ$ â

á ¤ä/‘ frßçâ$ frßäõ$ fqãŸ2 ö$fqæB#ä šú ï‰$$[٧].

وقوله: Ð-è? @d ¾ïï‰»6èÏ ÆÆÜô $r çßæçâ$u $Jå+/ $Br ÇJ öF{$r Ñ°q»J¡ 9$•> §â

---

(١) أساس البلاغة، لجار الله الزمخشري، توفي ٥٢٨هـ، دار المعرفة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، عرَّف به أمين الخولي، لا يوجد طبعة.

(٢) النظم القرآني في آيات الجهاد، د. ناصر الخنين، مكتبة التوبة، ط١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص٢٥٣.

(٣) معجم المقاييس، ص٥ أساس البلاغة ص٩. وانظر لسان العرب ٤/٢٦، ٢٧.

(٤) العدة في أصول الفقه، لأبي يعلى (١/١٦٧) تحقيق: أحمد سير المباركي، مؤسسة الرسالة ط، الأولى ١٤٠٠هـ.

(٥) قواعد التفسير جمعا ودراسة، خالد السبت، (٢/٤٧٩) دار ابن القيم – دار ابن عفان.

(٦) سورة النساء، (٣٦).

(٧) الحج، (٧٧).

.[٢] á ÒŠÉÇóÞ Ê°ŽÂ #‹»d ¢rŒ6ê$¤ Ùà6 ž'r † îr ©$þÎâ: وقوله [١] á ÇÏÌÈ $ŸÜ™ ¼¢9

أما إذا وجد ما يصرف الأمر لمعنى آخر غير الوجوب، فإنه يحمل على ذلك المعـــنى الذي دلت القرينة على إرادته، ومحل بسط تلك الدلالات كتب الأصول[٣].

مثال: á ¾ÏÎrß `Þ Lêœ© $Þ {r¢7ã$¤â : [٤] .

والمراد بهذا الأمر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان[٥] ويكون للدعاء[٦] كقوله: {qèù @è ¢1Ž Ù$þqàÞ/ Pâ : وللتعجيز كقوله [٧] á ÇÏÈ LÌÉÇóÞ ¤$¨ÞÊ°ŽÂ 9$$Ρ‰ã$â

.[٨] á ¾ÍÎ#Þ ç‘qÝÏ

وكتاب الله تبارك وتعالى مليء بالأمر بعبادته وحده دون سواه قال تعـــالى: â $Ks»Ï

$Y9$ â$ {r¢6ã$¤ ’Ï‰Ø$¤à/ “ Ï‰Ø$¤à)=Ê ûïÏ‰Ø$¤ Ùà6 `Þ Ùà¨è9 Ùà¨?Ò bqàÀG [٩] á ÇÍÈ فالله سبحانه وتعالى خلق الخلق لعبادته، وهذا هو أصل ما أمرهم به على ألسن رســـله والعبـــادة أمـــر وجودي من باب المأمور به[١٠].

قال سبحانه: â $Br=z ÅÞ¡9$ Ïm÷ƒy‰Ø$¤ §ŽÏÜ Ïm÷ƒy‰Ø$¤ Ïz÷ö¨Β ÇÏÈ [١١] á ÇÎÌÈ Ïm÷Ζà2ž‰Ø$¤

---

(١) سورة مريم (٦٥) .

(٢) سورة آل عمران (٥١) .

(٣) انظر: الإحكام للآمدي (١٣٢/٢) .

(٤) سورة الزمر (١٥).

(٥) الكشاف للزمخشري، ص٩٣٧.

(٦) من بلاغة القرآن، د. أحمد أحمد بدوي، ص١٢٩ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٧) سورة الفاتحة، آية (٦).

(٨) سورة يونس، الآية (٣٨).

(٩) سورة البقرة: الآية (٢١).

(١٠) قواعد التفسير جمعا ودراسة، لخالد السبت (٥٠٤/٢) دار ابن عفان، دار ابن القـــيم، ط الأولى ١٤٢٦هـــ - ٢٠٠٥م.

(١١) سورة الذاريات، الآيات (٥٦).

فأخبر هنا أن الغاية المطلوبة من خلقه هي عبادته وحده لا شريك له.

ثم تأمل في الآية السابقة حيث قال: â :ƒ» $Y9$$K$ $\7 ‘ ¥r‰6qã$â á ãã/ و لم يقل إلهكم فأمرهم بعبادة ربهم، وفي ضمن هذه الكلمة البرهان القطعي على وجوب عبادته؛ لأنه إذا كان ربنا يربينا بنعمه، وإحسانه وهو مالك ذواتنا، ورقابنا وأنفسنا، وكل ذرة من العبد فمملوكة له ملكاً خاصا حقيقيا، وقد رباه بإحسانه إليه، وإنعامه عليه فعبادته له وشكره إياه واجب عليه[1].

ثم اعلم أنه ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أرسل إلى قومه؛ لأجل هذه العبارة .á ¥r‰6qã$â

فقد قال سبحانه عن نوح – عليه الصلاة والسلام -: â :ƒ) ’9 ãã/ ÉR ÖÜ ÎÜ ÇÈ è& [2]á ÇÈ è&qã<Ü&r qq)?$ ©$¥r‰6qã$.

وقال عن إبراهيم – عليه الصلاة والسلام -: â :r) ÖÜ ÎÜ ÇÈ è& [3]á ©$¥r‰6qã$ÏÈ)Ö A$% ÖÜ ÎÜ ÇÈ è&.

وقال عن عيسى ابن مريم – عليه الصلاة والسلام –: â :r A$% ÖÜ ÎÜ ÇÈ è& ÓÍ7ƒ ÖÜ ÎÜ ÇÈ è& [4]á ãã/ ’r ’Îñ ©$¥r‰6qã$Ö/ÏÄŽó Î .

وقال عن هود وصالح وشعيب – عليهم الصلاة والسلام -: â :ƒ» ©$¥r‰6qã$ÉÖ) [5]á ©$¥r‰6qã$ÉÖ) .

وقال عن محمد â :r ÖÜ ÎÜ ÇÈ Ú& [6]á ÇÈ Ú& ÖÜ ÎÜ ÇÈ Ú& .

وأمر نوح – عليه السلام - قومه بأن يعبدوا الله، وهذا يقتضي أنهم كانوا معرضين عن عبادة الله بأن أقبلوا على عبادة أصنامهم... حتى أهملوا عبادة الله ونسوها، وكذلك

---

(١) الضوء المنير ٥/١٧٨.

(٢) سورة نوح: الآيات (٢- ٣).

(٣) سورة العنكبوت: الآية (١٦).

(٤) الكشاف، للزمخشري ص٧٠٦.

(٥) سورة الأعراف: الآية (٦٥، ٧٣، ٨٥).

(٦) سورة الحجر: الآية (٩٩).

حكيت دعوة نوح قومه في أكثر الآيات بصيغة الأمر بأصل عبادة الله، دون الأمر بقصر عبادتهم على الله مع الدلالة على أنهم ما كانوا ينكرون وجود الله، ولذلك عقب كلامه بقوله: â $B 9ã/ Ëô Ĵ9ﬁ îöçÿá فهذه الجملة في موقع التعليل للأمر بعبادته، وهو تعليل أخص من المعلل، وهو أوقع لما فيه من الإيجاز؛ لاقتضائه معنى اعبدوا الله وحده فالمعنى اعبدوا الله الذي تركتم عبادته وهو إلهكم دون غيره، فلا يستحق غيره العبادة فلا تعبدوا أصنامكم معه[١].

تبين مما مضى أنه لم يكن ثمة نزاع بين الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – وبين أقوامهم إلا في هذا التوحيد – توحيد الألوهية – لا توحيد الربوبية[٢].

فالقرآن الكريم يدعو هؤلاء الأقوام قاطبة إلى ما تقرر في فطرهم وعقولهم من أن المتفرد بالخلق، والتدبير، والإنعام ظاهراً وباطناً، هو المستحق للعبادة وحده[٣].

ولهذا قال شيخ الإسلام – رحمه الله - :

"فحسن التوحيد، وعبادة الله وحده لا شريك له، وقبح الشرك ثابت في نفس الأمر معلوم بالعقل؛ ولهذا يخاطبهم القرآن في مواضع كثيرة منكراً عليهم مخالفة مقتضى ما يقرون به فاعترافهم بأن الله هو الخالق يوجب انتهاءهم عن عبادة ما سواه "[٤]. قال تعالى: @èâ

ÏMhJ$`Ï ¢Û$ßÌ•ä `Br •»Á/ö‹F$ ìô¡9$ã7îô/ `B& ÇÚö‹F$ ä$J¡9$`Ï Nä3èãö/ `B

ár$ßÌ•MhJ|Ï šÆ$ÛÇ `Br ã%ŸF$ •ö‹¡ù šßa$bq !ª @àù ?bqàÈ bqèÏÇ á[٥] .

والاستفهام هنا تقريري، فإقرارهم بأن الله هو الرازق، الخالق المحيي، المميت يستلزم إقامة الحجة عليهم[٦].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور(٨/٤٠) .

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ٣٣.

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/٣١٧). القواعد الحسان لابن السعدي ١٢.

(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١/٦٨٢) ،

(٥) سورة يونس: الآية (٣١).

(٦) انظر: التحرير والتنوير (٥/١٥٥ - ١٥٧) ،

أفلا تتقون: أي أفلا تخافون عقاب الله على شرككم[1]. قال تعـــالى: ª! $ãâ‹ù â

. á ÇÌÈ šc qèÇ4Tù @»=Ð9$ÞvÎ ts‰è/ #Œ$Jù ',tø$Ðãš'

فماذا بعد الحق إلا الضلال استفهام إنكاري في معنى النفي، ولما كان الاستفهام ليس على حقيقته؛ لأنه تردد في المستفهم عنه تعين أنه إنكار وإبطال، فلذا وقع الاستثناء منه بقوله (إلا الضلال) فالمعنى لا يكون إثر انتفاء الحق إلا الضلال إذ لا واسطة بينهما فلما كـــان الله هو الرب الحق تعين أن غيره مما نسبت إليه الإلهية باطل، وعبر عن الباطـــل بالـــضلال؛ لأن الضلال أشنع أنواع الباطل[2].

وتصور بعض الآيات واقع هؤلاء الذين نكسوا الفطرة عن حقيقتها بالواقع المحسوس ومن ذلك: - قولـــه تعـــالى: `Ï Mêõƒ$$& @è ª! $è@èÇU öF$r Ï°q»J¡9$>§ `B @èâ:

@d P%ÇÁ7ø4 JãF$“ Ï@ó„@d @è #ÐÑÏ Ÿr $ÿ¥R ÑÎÅÿRL bqãÎõƒ Ÿw ä$$Ï÷&¥ïïrš

ª! $è@è ÑÍõãß¡ø$m6»±Fù¾ïÉ¡Ü. ¡(qà÷z ä!.Ža ÷ ¡(qè_ P% âqZ9$r ÑM»Hèà9$“ Ï@ó

.[3] á ÇÌÈ ãÉ)ø$%ï°q$$qèr ãÕ« è@äß¡»z

فاتخاذهم من دون الله أولياء ضلال محض، وخطأ بحت، لا يخفى بطلانه على أحـــد منهم في ذلك كالأعمى الذي لا يهتدي إلى شيء أصلاً[4].

وهكذا نجد أسلوب القرآن مع هؤلاء المعاندين إذ كشف سوء محالهم بعد أن حادوا عن طريق الهداية فقال: bqãèqà<™ ÇÌÍÈ šc qÃ-è?ÕÇZà2 bÎ)$gŠÏ `Br Ï°Ú öF$ÇJÏ¡@è â:

ÇÑÏÈ ËÈà è$Ä¸ è$>‘r /Ëq¡9$ÑÏ°q»J¡9$>§ `B @èÇÍÈ šc rã©×?Ÿù& @è ÷

Ÿr Ç›ßaqèr ãÕ« è@à2 ÑÏqã=B¾íÏ‰<Î.`B @èÇÑÈ šc qà¿?Ÿù& @è ÷ šc qãèqà<™

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٦/٥٥٨).

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٥/١٥٨ – ١٥٩).

(٣) سورة الرعد: الآية (١٦).

(٤) انظر: تفسير أبي السعود (٣/٤٣٨) وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن، منشورات محمد علي بيـــضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

.[١] á ÇÑÈ šc rãsóÈ4Tˆù @è ⊣ šc qãuà‹™ ÇÑÈ bqÇè? ÔÈZä c Ïnøã â¢gâ

4Tˆù ª! $£ãuà‹9 •J)¢¢ § ð±9$•¤™r Ú öF{$ ÏNºq»J¡9$,={ ôB NGF¢™ ûÈr â

.[٢] á ÇÏÈ bqãùsã

è@è ª! $£ãuà‹9 $gÏ¤B Ï‰è/ .`B Ú öF{$Ïî $Šôn'ù ¢$B ä$J¡9$šÆ B A"®`B OGF¢™ ûÍ!r â

.[٣] á ÇÎÈ bqæÉè ẅ ôèžò2 &@/ ⊣ ‰ð s¢$

ẅ ôèžò2 &@/ ⊣ ‰ðtø$è@è ª! $£ãuà‹9 Ú öF{$r ÏNºq»J¡9$,={ ôB NGF¢™ ûÈr â

.[٤] á ÇÎÈ bqÐ=ê

.[٥] á ÇÑÈ bqãùsã4Tˆù ª! $£ãuà‹9 ôG)=z ôB NGF¢™ ûÈr â

---

(١) سورة المؤمنون: الآيات (٨٤ – ٨٩).

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٦١).

(٣) سورة العنكبوت: الآية (٦٣).

(٤) سورة لقمان: الآية (٢٥).

(٥) سورة الزخرف: الآية (٨٧).

المبحث الثاني

النهي

المبحث الثاني

النهـي

النهي لغة: ضد الأمر، جيء به لطلب الكف، تقول: نهاه فانتهى[١].

واصطلاحاً: الأصل في النهي أن يكون لطلب الكف على سبيل التحريم[٢] كما في قولـه: á ÈtsøÎ ŸwÎ) !$PSm ÓÉ$Š [ÿZ9$(qèÎ? Ÿwr â[٣] ويعرّف باستدعاء الترك بالقول على وجه الاستعلاء[٤].

ويأتي لغير ذلك كالدعاء في قوله: â ‘ $Y/qèÜÏÎ Ÿw $Y‰è/ ‰ Ø) d‰f $YK‰ á[٥] ويفهم من النهي في قوله: â »ƒ K á[٦] الإهانة، ومن قوله: â ‘ $kŽÏ (qèi z$A‰ â Ÿwr $kŽÏ (qèi 3Ê Ëqß á ÇÏÈ[٧] اليأس من جدوى الاعتذار ويأتي النهي في القرآن لغير ذلك[٨].

ومن أمثلة النهي في القرآن:-

قوله سبحانه: â ‘ (qèÜB Ÿù وقوله تعالى[٩] á $k© ¾ï (qäÎ Ÿwr ©$(r& â[١٠] فالآية الأولى جمعت بين أسلوبين من أسـاليب العبوديـة،

---

(١) انظر: أساس البلاغة ص٤٧٥.

(٢) من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي ١٢٩.

(٣) سورة الأنعام: الآية (١٥١).

(٤) معالم في أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة للجيزاني ٤٠٦ وانظر البلاغة فنونها وأفنانها، ٥٨.

(٥) آل عمران: الآية (٨).

(٦) سورة المؤمنون: الآية (١٠٨).

(٧) سورة التحريم: الآية (٧).

(٨) من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي ١٢٩.

(٩) سورة النساء: آية ٣٦.

(١٠) سورة البقرة: الآية (٢٢).

أسلوب الأمر في قوله (واعبدوا الله) وأسلوب النهي في قوله: (ولا تشركوا به شيئا) فعامة ما ذم الله به المشركين في القرآن من الدين المنهي عنه، إنما هو الشرك، والتحريم وأما من ترك المأمور به فقد ذمهم الله، كما ذمهم على ترك الإيمان به، وبأسمائه وآياته، وملائكته وكتبه، ورسله والبعث بعد الموت، والجنة، والنار، وترك الصلاة والزكاة، والجهاد وغير ذلك من الأعمال والشرك قد تقدم أن أصله ترك المأمور به من عبادة الله، واتباع رسله، وتحريم الحلال فيه وترك ما أمر به من الاستعانة به على عبادته، فتبين بذلك أن ما ذمه الله تعالى وعاقب عليه من ترك الواجبات، أكثر مما ذمه الله وعاقب عليه من فعل المحرمات[1].

وفي أسلوب النهي في قوله: á $\øœ© ¾ïÎ ÷qàÎ6ÏèŸwr â جاءت كلمة (شيئا) نكرة في سياق النهي تفيد العموم، أي عموم الشرك بجميع طرقه ووسائله، "فهو نهي عنه في النيات، والأقوال، والأفعال، ونهي عن الشرك الأكبر، والأصغر، والخفي والجلي، فلا يجعل العبد لله نداً ومشاركاً في شيء من ذلك، ونظيرها[2] قوله NÎçR&r #Š#‰R& ÷ ÷qèpB Ÿxù â .[3]á šc qßJ-è?

كما جعل الله تبارك وتعالى الشرك به من أوائل المحرمات التي حرّمها على عباده فقال: á $\øœ© ¾ïÎ ÷qàÎ6ÏèŸw& Nà6 ¯æ Nà6 Ï‘ PSm $B @Ï ÷q$è? @Ïè â[4] "لا" أصلها (أن) (لا) "أن" مفسره لفعل التلاوة و"لا" للنهي"[5] وحقيقة الشرك بالله: أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يُعَظَّم كما يُعَظَّم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية، وإذا ترك العبد الشرك كله صار موحداً مخلصاً لله في جميع أحواله فهذا حق الله على عباده، أن

---

(١) قواعد التفسير جمعاً ودراسة، لخالد بن عثمان السبت(٢/٥٠٤) دار ابن عفان.

(٢) انظر: القواعد الحسان لتفسير القرآن، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، ١٦، مكتبة الرشد ناشرون، ط الثالثة ١٤٢٤هـ.

(٣) البقرة: الآية ٢٢.

(٤) الأنعام: الآية (٥).

(٥) انظر: الكشاف، للزمخشري ٣٥٢، وانظر: النسفي ٣٤٩.

يعبدوه ولا يشركوا به شيئا[١].

ولهذا كانت أبرز قضية حذَّر منها لقمان الحكيم ابنه هذه القضية المهلكة له في الدنيا والآخرة، إن هو استمر عليها، ألا وهي عبادة غير الله، ولهذا قال الله على لــسان لقمــان: â r ÏÏ A$% J)ba ß» ïÏZ ¾ r qèd r çÆ ¼ çµ / 6 _ Ó ÷ Wè âô 8Î ô³ è@ ? $# á «[٢].

حيث قال له قولاً به يعظه بالأمر والنهي المقـــرون بالترغيـــب والترهيـــب فـــأمره بالإخلاص، ونهاه عن الشرك، وبيَّن له السبب في ذلك فقال: â Î cŽ $9 Å Ž 8 9 $ Ò Dt ã à Šà Ò á ووجه كونه عظيماً أنه لا أفضع ولا أبشع ممن سوى المخلوق من تـــراب بمالـــك الرقـــاب وسوى الذي لا يملك من الأمر شيئا بمن له الأمر كله، وسوى الناقص الفقير مـــن جميـــع الوجوه بالرب الكامل الغني في جميع الوجوه، وسوّى من لم يُنعم بمثقال ذرة من النعم بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم، ودنياهم، وأخراهم وقلوبهم وأبدانهم، إلا منـــه، ولا يـــصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟ وهل أعظم ظلماً ممن خلقـــه الله لعبادتـــه وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة في علمها في أخس المراتب جعلها عابدة لمن لا يسوى شيئاً فظلم نفسه ظلما كبيرا[٣].

---

(١) تفسير ابن السعدي، ٢٧٩.

(٢) سورة لقمان: الآية (١٣).

(٣) تفسير ابن السعدي، ٦٤٨ .

المبحث الثالث

النفـي

المبحث الثالث

النفي

تعريفة لغة:

قال ابن فارس: (النون والفاء والحرف المعتل) أصل يدل على تعرية شيء من شـــيء وإبعاده منه، ونفيت الشيء أنفيه نفياً، وانتفى هو انتفاءً والنفاية: الرديُّ يُنفَى، ونفِيُّ الريح: ما تنفيه من التراب حتى يصير في أصول الحيطان ونَفِيُّ المطر: ما تنفيه الريح أو ترشه[١] أ.هـــ.

تعريفه اصطلاحاً: "هو ما لا ينجزم بلا، وهو عبارة عن الإخبار عن ترك الفعل.

وقيل النفي عبارة عن الإخبار بعدم صدور الفعل عن الفاعل في الزمان الآتي والماضي أيضاً وهو أيضاً ضد المضارع كقولنا لم يحضر زيد"[٢].

وقد وردت آيات كثيرة في النفي، وهو أسلوب من أساليب العبودية فكما أن العبد مأمور بإخلاص العبودية لله وحده منهي عن عبادة غيره من سائر المعبودات ينفـــي ذلـــك ويحذر منه قال سبحانه: á ÿïî 8îõ éwr ©$‰çã& Ÿ& ÝV öÉÉ$JRÎ)©è â[٣].

وقال: á ÇÌÈ #%n& þîî 8îõ éwr 'î ª$qè ©â[٤].

á ÇÈ #%n& ÿïî 8îõ éwr 'î (qãš& $JRÎ)©è â[٥].

ô‰9r « $ÈrŠ `Ï br‰çè? ûïÏ%©!$#ã& Ìx ù ÓÍ_ŠÏ `Ï ¨ 'î ä bÎ) ã $Z9$$Ïƒ©è â

á ÇÍÈ ûüÏZÏBs3ø9$$Ï `Ï bqä& Ÿ& ÝV öÉé ùa8©qƒ “ Ï%©!$#ã&[٦].

---

(١) معجم مقاييس اللغة: (٤٥٦/٥) .

(٢) التعريفات: ٣٠٠.

(٣) سورة الرعد: الآية (٣٦).

(٤) سورة الكهف: الآية (٣٨).

(٥) سورة الجن: الآية (٢٠).

(٦) سورة يونس: الآية (١٠٤).

الشاهد من هذه الآية (فلا أعبد) فهو هنا يفيد القصر ولكن عُدِل عن القصر إلى أسلوب النفي والإثبات لأن النفي هو المطلوب في الآية وهذا دلالة على الإعجاز القرآني في اللغة.

ومن استقرأ نصوص القرآن يجده مملوءاً بأسلوب النفي فهو يدعوهم إلى إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، ويزجرهم عن عبادة غيره.

قوله تعالى: «ÏpJèÏ{r‰ã? bÎr ÇÈšc rëz2 ‹?Ÿù& ßèt ŵ `J.ßèt `Jù& â:

ÇÈšc qãèê$Br šc r"Åê$B Ð-è/ ª!$# ÇÈ Ò>ïmß ÓÍ9 ©$žc Î $dqŸÁtB ŵ

. (١) á ÇÈšc qà=ßJÏ9 $\©bqàèt ŵ «!$ÈrßŠ`Ïbqãèƒšú ï‰©$#

ولهذا يقول سبحانه: â:

. (٢) á ÇÈšc qà=ßJÏ9

"يقول تعالى ذكره لعبدة الأوثان والأصنام أفمن يخلق هذه الخلائق العجيبة التي عددناها عليكم، وينعم عليكم هذه النعم العظيمة، كمن لا يخلق شيئا، ولا ينعم عليكم نعمة صغيرة ولا كبيرة، أتشركون هذا في عبادة هذا؟ يعرفهم بذلك عظم جهلهم، وسوء نظرهم لأنفسهم، وقلة شكرهم لمن أنعم عليهم بالنعم التي عددها عليهم، التي لا يحصيها أحد غيره(٣).

قال لهم جلّ ثناؤه موبخاً (أفلا تذكرون) أيها الناس ؟ يقول: أفلا تذكرون نعم الله عليكم وعظم سلطانه وقدرته على ما شاء وعجز أوثانكم وضعفها ومهانتها وأنها لا تجلب إلى نفسها نفعاً ولا تدفع عنها ضراً فتعرفوا بذلك خطأ ما أنتم مقيمون من عبادتكموها وإقراركم لها بالألوهية.

وقوله: â أي والله الذي هو إلهكم أيها

---

(١) سورة النحل: الآية (١٧ - ٢٠).

(٢) سورة النحل: الآية (٢٠).

(٣) تفسير جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير – رحمه الله – بتصرف يسير (٥٧٣/٧) .

الناس يعلم ما تسرون في أنفسكم من ضمائركم فتخفونه عن غيركم فما تبدونه بألسنتكم وجوارحكم وما تعلنونه بألسنتكم وجوارحكم وأفعالكم وهو محص ذلك كله عليكم حتى يجازيكم به يوم القيامة، المحسن منكم بإحسانه والمسيء منكم بإساءته وقوله: šú ï‰$ â . á ÇÈ šc qà=ä tÏr $\© bqàÈ ẅ « $Ers `Ï bqã

المبحث الرابـــع

الاستفهـــام

المبحث الرابع

الاستفهام

ورد الاستفهام في القرآن الكريم على أصل معناه وهو: طلب الفهم ومعرفة المجهول[١]، وقيل طلب حصول صورة الشيء في الذهن بأدوات مخصوصة[٢].

قال بعضهم هو الاستخبار. وقيل: الاستخبار ما سبق أولا و لم يفهم حق الفهم فإذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً[٣].

كما في قوله: â „ 7 Rqèó Çã $¡ï bf$ 8g$á[٤] وذلك الاستعمال كثير في القرآن[٥]، وهذا النوع يسمى بالدلالة الوضعية.

وهو طلب الفهم، يعني أن المستفهم يطلب فهم شيء يجهله من المخاطب بالاستفهام[٦].

وأكثر منه أن يخرج الاستفهام عن أصل وضعه لمعان أخرى تفهم من سياق الكلام[٧]، وهذا النوع يسمى بالدلالة المجازية[٨].

وللاستفهام – بهذا الاعتبار -[٩] قسمان كبيران:

القسم الأول- الاستفهام التقريري، ويكون الاستفهام تقريرياً إذا كان المستفهم عنه مثبتاً في

---

(١) من بلاغة القرآن، د. أحمد أحمد بدري ١٢٦.

(٢) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، لعبد المتعال الصعيدي، ٢٥١.

(٣) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٣/٢٣٤) ،

(٤) سورة الأعراف: الآية (١٨٧).

(٥) من بلاغة القرآن، ١٢٦.

(٦) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الكريم، د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، مكتبة وهبه (١/٤) .

(٧) من بلاغة القرآن ١٢٦.

(٨) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (١/٤) .

ضابطها: أن يكون المستفهم ليس في حاجة إلى فهم شيء من المخاطب بالاستفهام بل هو ينشئ معاني يقتضيها المقام قاصداً إعلام المخاطب بها لا أن يستسلم هو من المخاطب عن شيء انظر: التفسير البلاغي للاستفهام (١/٤).

(٩) أي بالدلالة المجازية.

المعنى، مثل قوله سبحانه: يخاطب نبيه محمد ﷺ أي قد شرحنا لك صدرك.

القسم الثاني- الاستفهام الإنكاري، ويكون الاستفهام إنكارياً في صورتين:

الأولى- أن يكون ما بعد أداة الاستفهام منفياً لا وجود له في الواقع ومن أمثلته قوله تعالى:

[illegible] (٢) أي: لم نجعل ذلك قط.

الثانية- أن يكون ما بعد أداة الاستفهام مثبتا له وجود في الخارج؛ لكنه كان ينبغـــي أن لا يكون أصلاً.

ومن أمثلته قوله سبحانه: [illegible] (٣)

فالقول الواقع بعد الاستفهام واقع له وجود في الخارج، لكنه كان لا ينبغي أن يكـــون؛ لأن القول إذا لم يصدقه عمل مخلص لله كان مذموماً(٤).

أمثلة تطبيقية على الاستفهام في القرآن الكريم:

قوله سبحانه: [illegible]

[illegible] (٥).

الشاهد: قوله (بَلْ) أم منقطعة مقدرة ببل والهمزة، والخطاب لأهـــل الكتـــاب الراغبين عن ملة إبراهيم، ومعنى بل الإضراب والانتقال من توبيخهم على رغبتهم عن ملـــة إبراهيم – عليه السلام - إلى توبيخهم على افترائهم على يعقوب عليه السلام باليهوديـــة ومعنى الهمزة إنكار وقوع الشهود عند احتضاره عليه السلام وتبكيتهم(٦).

ومعنى الاستفهام هذا التقريع والتوبيخ، وهذا في معنى النفي أي ما كنتم شـــهداء فكيـــف

---

(١) سورة الشرح: ١.

(٢) سورة الزخرف: ٤٥.

(٣) سورة الصف: ٢.

(٤) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، (١/٥) .

(٥) سورة البقرة: الآية (١٣٣).

(٦) انظر: تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب (٢٠٢/١).

تنسبون إليه أي يعقوب -عليه السلام- ما لا تعلمون ولا شهدتموه أنتم ولا أسلافكم[١].
فالاستفهام هنا غير حقيقي؛ لظهور أن عدم مشاهدتهم احتضار يعقوب _عليه السلام_ محقق فتعين أن الاستفهام مجاز، ومحله على الإنكار؛ لأنه أشهر محامل الاستفهام المجازي[٢].

مثال آخر:

ßŠÜ¡ 9$qè ª! $ $ègR ŵr #ŽÑ Nà6 9 ãî ƒ ŵ $B « $Âc rß `B šc rß ?è? @ê â

. [٣]á ÇÈ îè$

المعنى الرئيس المراد منه هو الإنكار الشديد، وليس مجرد الإنكار؛ لقبح المعصية المرتكبة وشناعتها من حيث أنها تتعلق بأصول عقيدة التوحيد، والزيغ فيها أعظم الذنوب على الإطلاق، وقد قال الله أكثر من مرة 7 brß $B ãÿø r ¾ï 8žç cb ãÿø ŵ @$b â

. [٤]á ÇÌÈ $JŠà ã $JØ # žIà$‰) ù « $ 8îç `Br â$± „ `J

وذكر أبو السعود في تفسيره أن قوله (أتعبدون) مؤكد للإنكار والتوبيخ، ومقرِّر للإلزام والتبكيت[٥].

فهو خطاب لجميع من يعبد شيئا من دون الله من المشركين والنصارى، والاستفهام للتوبيخ والتغليظ مجازا.

ومعنى (من دون الله) غير الله فمن للتوكيد، و(دون) اسم للمغاير فهو مرادف لسوى، أي أتعبدون معبوداً هو غير الله؟ أي أتشركون مع الله غيره في الإلهية؟ وليس المعنى أتعبدون معبوداً؟ وتتركون عبادة الله، فالمخاطبون كلهم كانوا يعبدون الله ويشركون معه غيره في العبادة، حتى الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم فهم ما عبدوا المسيح إلا لزعمهم أن الله حل فيه فقد عبدوا الله فيه، فشمل هذا الخطاب المشركين من العرب ونصارى العرب كلهم[٦].

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان (١/٤٠٠) .
(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١/٧٣٠) .
(٣) سورة المائدة: الآية (٧٦).
(٤) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (١/٢٦٥) .
(٥) تفسير أبي السعود (٢/٣٠٧) .
(٦) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور (٣/٢٨٨) .

المبحث الخامس

النداء

المبحث الخامس

النـــداء

تعريف النداء: هو طلب المتكلم إقبال المخاطب بواسطة أحد حروف النداء ملفوظا كان النداء أو ملحوظاً.

وللنداء دلالات جمالية ترد في سياق الآيات منها:

- توجيه الأنظار إلى المنادى وتركيز الاهتمام حوله .
- ويأتي لضروب من الإيجاز واختصاراً للكثير من الكلام .
- ويأتي لتلوين الكلام وتحليته .
- ويأتي بقصد الالتفات البليغ للترغيب في استمالة المخاطب .
- يأتي لبث الطمأنينة في نفس المخاطب وغير ذلك .

وأبرز حروفه: (الهمزة مقصورة وممدودة)، و(يا) و(أيا) و (هيا)

وأصل الباب (يا) فهي أكثر حروف النداء استعمالاً في القرآن الكريم[١]

لأن هذه الأداة تكون الوسيلة الطبيعية في النداء عند الخاصة والعامة؛ لكونها أم الباب وأخف أحرف النداء في النطق، ينطلق اللسان بها دون أن يستأنف عملاً[٢].

حالات النداء في القرآن:

١) المنادى المضاف، هو أكثر الأنواع استعمالاً في القرآن كقوله تعالى: â ÏM»ƒ'dø@ [٣]á ÑGÅ6 ¸ø? ÷wÎ »ƒ¿ÍÏ ’ÎŠ ÏZƒÑà6 ÑN.

٢) نداء النكرة المقصودة، كقوله تعالى â rßŠ@ø»ƒ öÚ'ÏÉ=ø¹ÓÉ ¸ø¹ÓÉ ÏBäš¸ ¡J¬âø¹ÓÉ ¸ø¹ÓÉ ÏBäš¸ rÏ»¡ âJ¬ø¹ÓÉ ¸ø¹ÓÉ[٤]á

---

(١) الأشباه والنظائر للسيوطي (٢: ١٣١) وذكر نحوه ابن هشام في مغني اللبيب (١/ ١٣) .

(٢) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية (٢/٨) .

(٣) سورة النساء آية: ١٧١ .

(٤) سورة هود آية: ٤٤ .

٣) نداء النكرة غير المقصودة، كقوله تعالى: â ...[١].

معاني النداء التي تفهم من سياق الكلام:

١- إظهار التحسر، نحو قوله تعالى: â ...[٢].

٢- الإهانة، كقوله تعالى: â ...[٣].

٣- إظهار الشفقة والعطف، كقوله تعالى: â ...[٤].

٤- التأنيس والتلطف، كقوله تعالى: â ...[٥] ...[٦].

لم يستخدم القرآن من أدوات النداء سوى (يا)، ويكون النداء لطلب إقبال المدعو ليصغى إلى أمر ذي بال[٧] وهي أكثر أدوات النداء استعمالا ولهذا قيل: إنها مشتركة بين النداء البعيد والقريب[٨]. ولذا غالباً ما يأتي بعد النداء أمر أو نهي.

والنداء أحد أساليب القرآن في الدعوة إلى العبودية.

مثال على النداء:

قوله سبحانه: â ...[٩].

الشاهد: "يا أيها" المقصود بالنداء من قوله "يا أيها الناس" الإقبال على موعظة نبذ

---

(١) سورة يس آية: ٣٠

(٢) سورة الأنعام آية: ٢١ .

(٣) سورة الواقعة آية :٥١ .

(٤) سورة الصف آية: ٥ .

(٥) سورة المزمل آية: ١ .

(٦) سورة المدثر آية: ١ .

(٧) من بلاغة القرآن، لأحمد بدوي ١٣٠.

(٨) البلاغة فنونها وأفنانها. د. فضل حسن عباس ١٨٦.

(٩) سورة البقرة: الآية (٢١).

الشرك وذلك هو غالب اصطلاح القرآن في الخطاب بـــ(يأيها الناس) وقرينة ذلك هنا قوله "فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون" وافتتح الخطاب بالنداء تنويها به ويا حرف للنداء وهو أكثر حروف النداء استعمالا فهو[1] أصل حروف النداء ولذلك لا يقدر غيره عند حـــذف حرف النداء ولكونه أصلا كان مشتركا لنداء القريب والبعيد[2].

وأحياناً يأتي النداء بعد تقدَّم الأمر عليه كما في قوله: â (#râFB$# Pö‹ø9$# ß$s)k$!$# á bqãÐô [3] .

وقد لا تأتي جملة الأمر كما في قوله: â pk!$# (#àJø9$# þ’ÎoTÎ) ’Å+ù& ¥<Ï. ÒOƒÌç [4] .

وباستقراء القرآن الكريم نجد كثرة الآيات الواردة في النداء لكن الذي يعنينا في هذا المبحث ما كان النداء فيه حض على الالتزام بعبودية الله جل وعـــلا كـــالتقوى والطاعـــة والاستجابة لله تعالى والصبر والمرابطة وغير ذلك كقوله: â pk!$#ïÏ%©!$# (#qãZtB#uä (#qà)®?$# ©!$# ¨,ym ê)$s?!$#) ¾ á [5] .

فالنداء هنا جاء خاصاً لأهل الإيمان للالتزام بتقوى الله تبارك وتعالى "إذا التقوى هي امتثال الأوامر واجتناب المنهيات من الكبائر، وعدم الاسترسال على الصغائر ظاهراً وباطنا أي اتقاء ما جعل الله فيه موجبا غضبه وعقابه، فالكبائر كلها متوعد فاعلها بالعقاب دون اللمم"[6].

كما نادى الله سبحانه أهل الإيمان في ختام سورة آل عمران بقاعدة عظيمة ألا وهي قوله: â g‘r'¯»tƒ úïÏ%©!$# (#qãZtB#uä (#rçŽÉ9ô¹$# (#rãÎ/$|¹ur (#qäÜÎ/#u‘ur (#qà)¨?$#ur ©!$# öNä3ª=yès9 šcqßsÎ=øÿè? á [7] .

---

(١) الزمخشري في كتابيه المفصل والكشاف قال: "ويا حرف وضع في أصله لنداء البعيد ثم استعمل في مناداة من ســـها أو غفل وإن قرب تنزيلا له منزلة من بعد "قال الرضي في شرح الكافية: إن استعمال يا في القريب والبعيد علـــى السواء ودعوى المجاز في أحدهما أو التأويل خلافُ الأصل انظر التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٢٤/١) .

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٢٤/١) .

(٣) سورة يس: الآية (٥٩).

(٤) سورة النمل: الآية (٢٩).

(٥) سورة آل عمران: الآية (١٠٢).

(٦) انظر: التحرير والتنوير (٢٢٢/١) .

(٧) سورة آل عمران: الآية (٢٠٠).

وكثيراً ما يحذف لفظ النداء في القرآن[١] كما في قوله سبحانه: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾ وقوله: ﴿ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ﴾[٢] ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ ﴾[٣].

وقوله: ﴿ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾[٤] وقوله: ﴿ يَا يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ ﴾[٥].

ولا يكاد يستخدم حرف النداء مع الرب، بل ينادى مجرداً من حروف النداء ولعل في ذلك تعبيراً عن شعور الداعي بقربه من ربه[٦] كقوله سبحانه: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ وقوله: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ وقوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ وقوله: ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ ﴾ وقوله: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ﴾[٧].

ولم يأت نداء الرب في القرآن مسبوقا بحرف النداء إلا في تلك الآية الكريمة ﴿ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٨].

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها ١٦٩، من بلاغة القرآن ١٣٠.

(٢) سورة الحجر: الآية (٥٧).

(٣) سورة الواقعة: الآيات (٥١ – ٥٢).

(٤) سورة القصص: الآية (١٦).

(٥) سورة يوسف: الآية (٤٦).

(٦) من بلاغة القرآن الكريم (١٣٠ – ١٣١).

(٧) سورة البقرة: الآيات (٢٨٥ – ٢٨٦).

(٨) سورة الزخرف: الآيات (٨٨ – ٨٩).

المبحـــث السادس

التعجـــب

المبحث السادس

التعجب

تمهيـــــد:

التعجب: العُجْب والعَجَب إنكار ما يرد عليك لقلة اعتياده[١].

وفي القاموس: العُجْب: إنكار ما يرد عليك كالعَجَب وتعجبت، واستعجبت منه كعجبْـــت منه، وعجّبته تعجيبا، والعُجاب ما جاوز حد العَجبَ[٢].

والعَجب حقيقته: انفعال في النفس، ينشأ عن علم بأمر غير مترقب وقوعه على النفس.

قال الزمخشري[٣]: معنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله[٤].

قال الرماني: والمطلوب في التعجب الإبهام؛ لأن من شأن الناس أن يتعجبـــوا ممـــا لا يعرف سببه، فكلما استبهم السبب، كان التعجب أحسن وأصل التعجب للمعنى الخفي سببه والصيغة الدالة عليه تسمى تعجبا[٥].

---

(١) لسان العرب (١/٥٨٠) .

(٢) القاموس المحيط للفيروزآبادي ١٤٤.

(٣) كبير المعتزلة وشيخهم العلامة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمـــد الزمخـــشري الخـــوارزمي النحـــوي صاحب الكشاف والمفصل وغيرها من الكتب، حج وجاور بمكة زماناً فلقب بذلك جار الله، كان رأساً في البلاغة والعربية والبيان وله تفسير الكشاف عليه شروح وتعليقات وآرائه في الإعتزال، وكان داعياً إلى البدعة متحمـــساً لها ورافعاً للوائها عفا الله عنا وعنه، مات ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. ينظر في الأنـــساب للـــبلازري، تحقيق: محمد حميد الله، معهد المخطوطات، دار المعارف في مصر ٦/٢٩٧، نزهة الألباء: ٣٩١، وفيات الأعيـــان: (٥/ ١٦٨)، ميزان الاعتدال: ٤٧٨ سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٥١).

(٤) الكشاف ١١٠٢.

(٥) الإتقان (٣/٢٢٨) .

الرماني: هو الإمام النحوي علي بن عيسى بن علي بن عبد الله الرماني أبو الحسن، أحد الأئمة المشاهير، جمع بين حفظ العربية وعلم الكلام، وله تفسير القرآن الكريم. قال البيضاوي: كان متفنناً في علوم كثيرة من القرآن والفقه والنحو وعلم الكلام على مذهب المعتزلة، وقيل: أنه كان مع اعتزاله شيعياً. كانت ولادته ببغـــداد ســـنة ســـت وتسعين ومائتين، ووفاته سنة أربع وثمانين وثلاثمائة كما في وفيات ابن خلكان.

قلت: التلازم بين بدعة عقيدة الاعتزال، وبدعة الروافض لا ينفك أبداً، فهما وجهان لعملة واحدة، فكل رافضي معتزلي العقيدة ولا عكس، والرماني هذا لعله قد تاب من بدعة الرفض والاعتزال وتحول إلى مـــذهب الـــشافعية حيث لازم القاضي والشيخ أبي الفضل العراقي، ومات وهو على مذهب الشافعية، وأغلـــب شـــافعية المـــشرق أشعرية، فهم أبعد عن الرفض وأخف ضرراً من المعتزلة. والله أعلم .

ترجمته في: تاريخ بغداد (١٢/١٦) أنباه الرواة (٢/٢٩٤) وفيات الأعيان (٣/٢٩٩) ميزان الاعتدال (٣/١٤٩).

وفي التنزيل: á Ò$ f ã áÓ´9#‹»d ÞÎ â[1] .

وفي الحديث: "عَجِبَ رَبُّكَ من قوم يُقادُون إلى الجنة بالسلاسل"[2] .

ويأتي قياسياً بصيغة (ما أفعله) نحو قوله سبحانه á Í$Z9$'?ã ÙèŽ9Ô ‰$Jù â[3] و(أفعل به) مثل: أكرم بالمُجِّد.

وكثيراً ما يأتي الاستفهام بمعنى التعجب، وهذا كثير في كتاب الله تبارك وتعالى ومن الأمثلة على ذلك.

١- á ÇÍÈ brçÀ$Z?ÜwÞß9$B ÇÍÈ bqäqèóB Nèd Ó‰qàÜr â[4].

فقد أنكر عدم تناصرهم وتعجب منه، وطلب منهم أن ينصر بعضهم بعضا ولما كانوا في موقف لا يملكون فيه حولا كان ذلك الأمر إلى هؤلاء العجزة تهكما بهم، وإذلالاً لهم، فالآية هنا تفيد التعجب والتهكم[5].

فالاستفهام في (brçÀ$Z?ÜwÞß9$B) مستعمل في التعجيز مع التنبيه على الخطأ الذي كانوا فيه في الحياة الدنيا.

وجملة (ما لكم لا تناصرون) مبينة لإبهام (bqäqèóB).

وهو استفهام مستعمل في التعجيب للتذكير بما يسوءهم، فظهر أن السؤال ليس على حقيقته، وإنما أريد لازمه وهو التعجيب[6].

٢- á É#qÝ¡¡¨Β † ÎóÅðƒr Q$èÜ9$ÒàÒ2 Ûí ÉqÏS9$#‹»d É$B â[7]

---

(١) سورة ص: الآية (٥).

(٢) أخرجه البخاري كما في فتح الباري (١٤٥/٦) برقم (٣٠١٠).

(٣) سورة البقرة: الآية (١٧٥).

(٤) سورة الصافات: الآيات (٢٤ – ٢٥).

(٥) أساليب الاستفهام في القرآن، لعبد العليم السيد فوده ١٣٣، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

(٦) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٠٣/٩- ١٠٢) .

(٧) سورة الفرقان: الآية (٧).

والتعجب: الاستفهام معه مستمر؛ لأن من تعجب من شيء فهو بلسان الحال سائل عن سببه[1].

(Éqn?s9$$#‹»d Ä$B) الاستفهام تعجيي مستعمل في لازمه وهو بطلان كونه رسولا بناء على أن التعجب من الدعوى يقتضي استحالتها أو بطلانها، فمثار الاستفهام في هذه الآية هو ثبوت حال أكل الطعام والمشي في الأسواق للذي يدعي الرسالة من الله[2].

٣- á í$Z9$'?ã ÑèŽ9Ø & $Jù â .

قولان لأهل التفسير في (ما) قال بعضهم: هذا استفهام، يقول مال هذا الذي صبَّرهم على النار حتى جرأهم فعملوا بهذا.

وقال الآخرون هو تعجب. يعني: فما أ شد جراءتهم على النار بعملهم أعمال أهل النار وهذا الذي يميل إليه ابن جرير – رحمه الله - [3].

وعندي – والله أعلم – أنه استفهام بمعنى التعجب ولا منافاة بين أقوال المفسرين هنا.

وقد ذكرت فيما سبق أن التعجب يأتي قياسياً كما في الآية السابقة.

وقد يأتي سماعياً، وقد لحظ الزمخشري ما في طريقة التعجب من غير لفظه من قوة في الأداء، ونفاذ إلى أدق مواطن الإدراك في النفس حين تواجهها بنقائصها ورذائلها، مواجهة فيها حده، وفيها قوة، ليلتفت الإنسان إلى فطرته فيعود إليها[4].

يقول الزمخشري: في قوله: â á ÇÌÈ šc qèèÿ? ÿw $B {qãqà? b& «! $‰Ÿã $PÿB žãÝ2 [5] هذا من أفصح كلام وأبلغه في معناه قصد في (كبر) التعجب من غير لفظه ومعنى التعجب: تعظيم الأمر في نفوس السامعين؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره

---

(١) أساليب الاستفهام في القرآن، لعبد العليم السيد فوده، ص٢٧٦.

(٢) التحرير والتنوير (٨/٣٢٧).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن (٢/٩٦ – ٩٧) ،

(٤) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ص٣٨٢. د. محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة.

(٥) سورة الصف: الآية (٣).

وأشكاله، وأسند إلى أن تقولوا: ونصب "معنا" على تفسيره دلالة على قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه؛ لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت؛ لأنه أشد البغض وأبلغه(١).

والتعجب قوي الصلة بالإنكار، بل هو إنكار كما نفهم من خلال ما مر معنا في تعريفات التعجب عند العلماء ولذا صحب أساليب الإنكار غالباً، فجاء في أساليب إنكار الواقع(٢) في قوله (٣) (٤) وفي أساليب إنكار الوقوع (٥) (٦) في (٧).

فالمراد نفي وقوع ذلك أي لا يكون له ولد، وأفادت (أنى) التعجب ممن يدعي ذلك من المشركين وهذا واضح وملموس حيث كثرت دلالة أنى وكيف على التعجب في الاستفهام القرآني.

وقد يجيء التعجب مع التنبيه وذلك في أساليب (أرأيت)، (ألم تر)(٨) حيث يرد التعجيب مما يتلوها كما في قوله تعالى: (٩).

وخلاصة القول هنا: أن التعجب من الأساليب البلاغية في القرآن الكريم، كما أنه أسلوب من أساليب العبودية لله تبارك وتعالى حيث تعجب هؤلاء الكفار من القرآن،

---

(١) الكشاف ١١٠٢.

(٢) أساليب الاستفهام في القرآن، لعبد العليم السيد فوده، ٢١٨.

(٣) سورة البقرة: الآية (٤٤).

(٤) سورة الأنعام: الآية (٩٥).

(٥) سورة آل عمران: الآية (٧٠).

(٦) سورة عبس: الآية (١٧).

(٧) سورة الأنعام: الآية (١٠١).

(٨) أساليب الاستفهام في القرآن، ٢١٨.

(٩) سورة مريم: الآيات (٧٧ – ٧٨).

وصحة ما جاء فيه، وتعجبوا من نبوة محمد r ، كما تعجبوا من ترك الشرك بالله، فإنهم قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان، وأشربته قلوبهم، دعاهم الرسول r إلى خلع ذلك من قلوبهم، وإفراد الإله بالوحدانية، وأعظموا ذلك وتعجبوا[1] وقالوا: â &_è@$ø¥ï ÎlpÏ)9»g$ [2].á ÇÎÈ Ò$ f ã âáÓ´9#‹»d ÐÎ #‰ïh°r

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣٦/٤) .

(٢) سورة ص: الآية (٥).

المبحث السابع

الدعاء

المبحث السابع

الدعاء

الدعاء معنى من معاني الإنشاء الطلبي في باب الأمر والنهي.

فالأمر قد يخرج عن معناه الحقيقي وهو: طلب الفعل من الأعلى للأدنى على وجه الوجوب والإلزام؛ للدلالة على معاني أخرى يحتملها لفظ الأمر، وتستفاد من السياق وقرائن الأحوال ومن هذه المعاني(١).

الدعاء: إذا استعملَتْ طلب الفعل على سبيل التضرع(٢).

وهو طلب الأدنى من الأعلى، والصغير من الكبير، والضعيف من القوي والمخلوق من الخالق(٣) فهو طلب على سبيل الاستغاثة، والعون والتضرع، والعفو، والرحمة(٤).

وقيل إن استعمال صيغة الأمر فيه حقيقة لا مجاز(٥).

ومن الأمثلة من كتاب الله: ﴿qÄ#ä Ç»Jƒ “ $YÃ$ZÃ$Ã$Yè™ $YÎ/§â

á ÇÈ í#•ÐF$ì B $Yq?r $Y?$«™ $Yã ÿY2 r $Y/qÊ$Z9 ÿY $Y/‘ YB«ù ﴾(٦).

فإن العبد لا يأمر ربه أن يغفر له زلاته، ويكفر عنه سيئاته، ويتوفاه مع الكرام البررة على وجه الإلزام والاستعلاء؛ ولكنه طلب إنشائي فيه معنى الخوف والضراعة وفيه تذلل واستعطاف وفيه انقلب معنى الأمر إلى معنى الدعاء(٧).

---

(١) علم المعاني: د. عبد العزيز عتيق ٦٤، دار الآفاق العربية، ط١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(٢) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، لعبد المتعال الصعيدي، ٢٧١ مكتبة الآداب.

(٣) البلاغة العربية في ثوبها الجديد، د. بكري شيخ أمين ٩٦، دار العلم للملايين.

(٤) علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق ٦٤.

(٥) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ٢٧١.

(٦) سورة آل عمران: الآية (١٩٣).

(٧) انظر: البلاغة في ثوبها الجديد ٩٧.

ومن الأمثلة أيضاً:

١- قوله سبحانه وتعالى: 4?ãr ¥?ã MðèR& ÓÉ$š• FJèï •ãO& þ&[1] ÓÍãÎ÷& É ‘ â

. [2]á ž" $Î°r

٢- وقوله تعالى: [3]á £‘ $Î°qï r ’í ïøø$É§â.

٣- وقوله تعالى: [4]á ÇÏÈ LìÉGó 3$Þ°Ž Ç 9$$R‰d$â.

وقد تخرج صيغة النهي عن مدلولها الرئيس – وهو طلب الكف إلى معاني تعرف بالقرآئن وتستفاد من السياق[5] ومنها.

الدعاء.

قوله سبحانه: [6]á $RÜ-z& ÷& $ZŠÅ$Rbî $Rõï{ #sêw $Y/‘ â .

وقوله: ï $dqß$MR& 7Rî þJô‘ 7R$a©`Ï $Z9 é dr $YK÷‰d ßî ‰è/ $Y/qè ïî ê $Y/‘ â

. [7]á ÇÏÈ

فهذا ليس نهياً لله تعالى أن يزيغ قلوب المؤمنين بعد أن أبلغهم جادّة الهدى والإيمان ولكنه دعاء يحمل معنى التوسل والرجاء[8].

---

(١) أوزعني: ألهمني تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، لأبي محمد البغوي (٣/٤١١) دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٥ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) سورة النمل: الآية (١٩).

(٣) سورة نوح: الآية (٢٨).

(٤) سورة الفاتحة: الآية (٦).

(٥) البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، د. فضل حسن عباس ١٥٨.

(٦) سورة البقرة: الآية (٢٨٦).

(٧) سورة آل عمران: الآية (٨).

(٨) البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ١٠٣.

خلاصـــة القـــول: في فصل الإنشـــاء أو الجمل الطلبية.

أول هذه الأساليب: الأمر حيث يدعو القرآن الكريم الخلق إلى ما تقرر في فطـــرهم وعقولهم، من أن المتفرد بالخلق،والتدبير، الإنعام ظاهراً وباطناً، هو المستحق للعبادة وحـــده دون سواه[١] كما في قوله: á ÿ¼Ç¿Ï ¤»9Ï ôÏ Nà6 9 $B ©$¥rß6ã$â[٢] فهو هنا يأمرهم أمراً وجوبياً إلى عبادته وحده، وفي الوقت ذاته ينهاهم عن عبادة غيره معه، تارة بأسلوب النهي وتارة بأسلوب النفي ⊣ ÷qèøB Ÿù â[٣] á ¾ïÎ ¼q9 `»dçŸw•z#ä $g»9Ï «÷ $ìB á ß f `Br â á šc qßJ=è? ÑÉR&r #Š‰R& ÑÉR&r)[٤] وهذه القضية العظمى التي نادى بها القرآن تلك القلوب الميتة أراد أن يستجيش تلك الفطرة وينقلها من دياجير الظلام إلى سبيل الحق والرشـــاد، (šc qßJ=è? قال ابن عاشور _رحمه الله_ " وقد جعلت هاته الحال محط النهي والنفي تمليحا في الكلام للجمع بين التوبيخ وإثارة الهمة فإنه أثبت لهم علما ورجاحة الرأي، ليثير همتـــهم ويلفت بصائرهم إلى دلائل الوحدانية، ونهاهم عن اتخاذ الآلهة، أو نفي ذلك مع تلبسهم بـــه وجعله لا يجتمع مع العلم توبيخاً لهم، على ما أهملوا من مواهب عقولهم، وأضـــاعوا مـــن سلامة مداركهم" [٥].

ويستخدم القرآن أسلوب النداء يناديهم وينعى عليهم مـــضيهم خلـــف ضـــلالات تشرب حبها في عروقهم سالكاً بهم طريق التنبيه على ما استقر في فطـــرهم، قـــال تعـــالى: á ÇÈ bqà6? ÑÈ=è9 ÑÈ=ö `Ï ûïÏ%©! ÑÈ)=ß " Ï%©!Ï' ÷rß6ã$â $Y9$$Ks»7 â فبين الله بهذا الأسلوب وهو أسلوب النداء أن عبوديته وحده لا شريك له سببا لتقواه.

أما الاستفهام بنوعيه التقريري والإنكاري قـــال تعـــالى: ÏNºq»Jj 9$•> § `B @ê â

---

(١) انظر: القواعد الحسان للسعدي، ١٢.

(٢) سورة هود: الآية (٥).

(٣) سورة المؤمنون: الآية (١١٧).

(٤) سورة البقرة: الآية (٢٢).

(٥) التحرير والتنوير (١/٣٣٥) .

@d @è #ŽÑ Ÿvr $ÀÝR ÑÛÅâRL{ bqâî÷ƒ Ÿv ä$Ÿr« ÿïrß `Ï Mêõƒ¤$Ñ« @è ª $È@è ÇJ öF{$r

{qà÷z ä!.Žâ ⊣ {qè_ P« âqZ9$r âM»Hâè9$“ ÈGó¡@d P« ç•Å7¤$r 4 JãF{$“ ÈGó„

.(١)á ÇïÈ ãg)¤$Ñ‰ïº q¤$qèr âÓ« è äß÷» z ª $È@è ÑÍÐ÷ã ß¡ì¤$m6»±Fù ¾ïÉ¡Ü.

فقوله (قل) على سبيل الأمـــر (ÇJ öF{$r ÏNºq»Jj¡ 9$•> § `B) اســـتفهام تقريـــري والاستفهام الثاني (ä$Ÿr« ÿïrß `Ï Mêõƒ¤$Ñ« @è) فهو استفهام إنكار وتوبيخ، وزاد ابـــن عاشور التغليظ، والاستفهام الثالث والرابع والخامس للإنكار، والتوبيخ، والتسفيه وأمـــا في الاستفهامين الرابع والخامس منقطع بمعنى (بل والهمزة)(٢) فدل النظم الكريم على أن الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الأصنام أولياء من دون الله سبحانه في الضلال المحض، والخطأ البحـــت بحيث لا يخفى بطلانه على أحد، وأنهم في ذلك كالأعمى الـــذي لا يهتـــدي إلى شـــيء أصلاً(٣).

وينهج القرآن منهجاً آخر، وأسلوباً رائعا في التعجب من حال هؤلاء الكفرة الضالين الذين اتخذوا معه آلهة أخرى قال تعالى: è$ f ã âÓ´ 9 #‹»d Ïî #‰ïºr $¨9Ï plÎ¥$@è_ & â :

.(٤)á ÇÏÈ Š#•ãÓ´ 9 #‹»d Ïî ïâ¢gï#ä #?ã (rÞÉ÷ $r (qà⊇$Ê& Ñâ¡Ï _ J¤$,=ÜR$r ÇÎÈ

فاحتاج الأمر أن يستنهض القرآن الكريم قوى النفس الإنسانية وملكاتها لينغص عن تلك النفوس ما امتزج بها من الشرك، ويُمكّن فيها التوحيد، فلم يترك القرآن باباً أو منفـــذاً من منافذ النفس الإنسانية إلا واستخدمه، ليحقق بذلك ما يريد لعقيدته من تمكين واستقرار في النفوس فاتجه إلى العقل بالحجة، والبرهان وبالمنطق الواضح القريب، يسوق الأدلة، ويفند

---

(١) سورة الرعد: الآية (١٦).

(٢) الكشاف ٥٣٧ تفسير أبي السعود (٤٤٨/٣). روح المعاني (١٢٧/١٣) ، البحـــر المحـــيط (٣٧٨/٥) تفـــسير البيضاوي (١٠٤/١) التحرير والتنوير (١١٢/٦ – ١١٣) ،

(٣) تفسير أبي السعود (٤٤٨/٣) ،

(٤) سورة ص: الآيات (٥ – ٦).

الشبه[1].

وآخر هذه الأساليب هو أسلوب الدعاء ففيه إظهار التضرع، والتذلل والعجز والضعف، واعتراف بجلال الله وقدرته، ووقوف بين يدي رحمته وإحسانه ففيه يتجلى ضعف العبد، وانكساره، وذله أمام قدرة الله وعظمته فالدعاء من مستلزمات العبادة إذهي الصلة التي تربط العبد بخالقه، على الدوام في كل الأحوال والأوقات[2].

---

(١) انظر: الدعوة القرآنية بلاغة ومنهجا ١٤٦، ٣٥٦٧، عبد الغني محمد سعد بركه، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤٠٣هـ.

(٢) انظر التفسير القرآني للقرآني الكريم، عبد الكريم الخطيب (١٢٥٦/٢٤) دار الفكر، بيروت.

الفصـــل الثاني

الخـــبـــر

الفصل الثاني

الخـــبر

الخبـــر:

هو قول يحتمل الصدق والكذب، ويصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب[١].

وقيل: ما تركّب من جملة أو أكثر، وأفاد فائدة مباشرة، أو ضمنية، والفائدة المباشرة، هي ما يسميه البلغاء فائدة الخبر، والفائدة الضمنية ما يسمونه: لازم الفائدة[٢].

أغـــراض الخبـــر:

الأصل في الخبر أن يلقى لأحد غرضين:

١- إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو العبارة، ويسمى ذلك فائدة الخـــبر[٣]: زيد قائم لمن لا يعلم أنه قائم[٤].

٢- إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم، ويسمى ذلك لازم الفائدة[٥].

مثاله: كقولك لمن زيد عنده ولا يعلم أنك تعلم ذلك زيد عندك[٦].

أضـــرب الخبـــر:

١- إذا كان المخاطب خالي الذهن من الحكم بأحد طرفي الخبر على الآخر والتردد فيـــه[٧] استُغْنِي عن مؤكدات الحكم، وهذه حال فئة من الناس الذين يـــصدقون الخـــبر، ولا

---

(١) البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ٥٣، انظر الإتقان في علوم القرآن (٣/٢٢٥) ،

(٢) النظم القرآني في آيات الجهاد، د. ناصر الحنين ٢٥٣، التوبة ١٤١٦هـــ - ١٩٩٦م.

(٣) الغرض الأول: فائدة الخبر يقوم في الأصل على أساس أن من يلقى إليه الخبر أو من يوجد إليه الكلام يجهل حكمه أي مضمونه ويراد إعلامه أو تعريفه به. علم المعاني د. عبد العزيز عتيق ٣٩.

(٤) بغية الإيضاح، عبد المتعال الصعيدي، ٤١.

(٥) علم المعاني، ٣٩، وانظر بغية الإيضاح ٤١.

(٦) بغية الإيضاح ٤١.

(٧) المصدر السابق ٤٣.

يحتاجون إلى أن يؤكد المتحدث لهم ما يقول، ولذلك فإن الخبر الذي يلقى إليهم خالياً من كل توكيد ويدعى بالخبر الابتدائي[١].

٢- إذا كان متصوراً لطرفيه مترددا في إسناد أحدهما إلى الآخر طالبا له حسن تقويته بمؤكد واحد: كقولك: "لَزَيْدٌ عارفٌ" أو "إنَّ زيداً عارف" ويسمى الخبر الطلبي[٢].

٣- وإن كان حاكما بخلافه: وجب توكيده بحسب الإنكار[٣]، فيؤتى له بمؤكد واحد أو اثنين، أو أكثر، على حسب إنكاره في القوة والضعف، وقيل إنه لا يكتفي في الإنكار بمؤكد واحد[٤] مثال ذلك: قوله تعالى: $dä!` ÖÏ) ÏÞ ƒÖ) ÖÖ$ = »tÖ¼& ¸x WB Mlç; ó> ÎÕÑ $r â bqè™éD Nàø) $Ï) {ÖÖ) ù ;] Ï$VÎ $Rø"èù $Jèqç× 3ù ÈÏZÖÖ$ÑÍÖ) $Zè™ö& Ö) ÇïÈ bqè™ëø3Ö$ {qÖ$% ÇïÈ bqçÉ?ŠÏ) ÖÇR& Ö) àÓ« `Ï »Hq$Ö$A"R& $Br $Y¡Ï ž3 0 ŠÏ) ÖÇR& $B {qÖ$% ÇïÈ bqè™ëø3Ö$ Ö) $Ï) Ö-è/ $Z‘[٥] .

قال ابن عطية[٦] – رحمه الله –

واللازم من الآية أن الله تعالى بعث إليها رسولين فدعيا أهل القرية إلى عبادة الله تعالى وحده، وإلى الهدى والإيمان، فكذبوهما فشدد الله تعالى أمرهما بثالث، وقامت الحجة على

---

(١) انظر: البلاغة العربية ٦٧.

(٢) المصدر السابق، ٦٧.

(٣) بغية الإيضاح ٤٤.

(٤) علم المعاني ٤٢.

(٥) سورة يس: الآيات (١٣ – ١٦).

(٦) هو عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن تمام بن عطية المحاربي الغرناطي الإمام العلامة شيخ المفسرين أبو محمد، كان إماماً في الفقه وفي التفسير وفي العربية، قوي المشاركة ذكياً فطناً مدركاً من أوعية العلم، وله مؤلف المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أحسن فيه وأبدع فطار صيت الكتاب لحسن نية مؤلفه قال فيه شيخ الإسلام في الفتاوى: (١٩٤/٢) وخير من تفسير الزمخشري وأصح نقلاً وبحثاً وأبعد من البدع وإن اشتمل على بعضها بل هو خير منه بكثير بل لعله أرجح هذه التفاسير. ينظر في: الصلة :(٢/ ٣٨٦)، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، لأحمد الظبي دار الكاتب مصر ١٣٨٧هـ (٣٧٦)، طبقات المفسرين للسيوطي: ١٦ سير أعلام النبلاء: (١٩/ ٥٨٧)، طبقات المفسرين للداودي: (٢٦٠/١) .

أهل القرية، وآمن منهم الرجل الذي يسعى وقتلوه في آخر أمره، وكفروا فأصابتهم صيحة من السماء فخمدوا[1].

وخلاصة القول هنا:

أن الخبر بسائر أنواعه أسلوب من أساليب الدعوة إلى عبودية المولى جلَّ وعلا.

ويسمى هذا النوع بالخبر الإنكاري.

مؤكدات الخبر:

١- إن المكسورة الهمزة المشددة النون.

٢- "لام الابتداء".

٣- "أما الشرطية" المفتوحة الهمزة المشددة الميم.

٤- السين وهي حرف يختص بالمضارع ويخلصه للاستقبال.

٥- قد التي للتحقيق.

٦- ضمير الفصل.

٧- القسم.

٨- نون التوكيد الثقيلة ونون التوكيد الخفيفة.

٩- الحروف الزائدة وهي إن المكسورة الهمزة الساكنة النون، وأن المفتوحة الهمزة الساكنة النون، وما ولا ومن والباء الجارتان[2].

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية (٤/٤٤٩) دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٢) بغية الإيضاح ٤٤، علم المعاني ٤٤ – ٤٧.

مبـــاحـــث الخبـــر

فيه سبعة مباحث

المبحث الأول: الإنكار.

المبحث الثاني: التقرير.

المبحث الثالث والرابع:المدح والترغيب،

المبحث الخامس والسادس: الذم

والترهيب.

المبحث السابع:اللوم والتوبيخ.

المبحـــــث الأول

الإنكـــــار

المبحث الأول

الإنكـــار

قال بدر الدين الزركشي: - رحمه الله -

(قد يخرج الاستفهام عن حقيقته بأن يقع ممن يعلم، ويستغنى عن طلـــب الإفهـــام، وهـــو قسمان: بمعنى الخبر، وبمعنى الإنشاء.

الأول: بمعنى الخبر، وهو ضربان: أحدهما نفي، والثاني إثبات، فالوارد للنفي يسمى استفهام إنكار والوارد للإثبات يسمى استفهام تقرير؛ لأنه يطلب بالأول إنكار المخاطب؛ وبالثـــاني إقراره به)[1].

الإنكار: نكِر فلان الأمر نَكَرا، ونُكْرا، ونكورا، ونكيرا، وأنكره واستنكره وتناكره: تجاهله والاستنكار: استفهامك أمراً تنكره[2].

وفي التنزيل: â Ùh$ ‘äÏ‰¾Ÿwöq? ÂÀðî(ø Rï•Æ6Ïdè á[3] .

â Ùh$ ‘äÏ أي: إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – امتناع الضيوف عن الأكـــل لأنهم لم يكونوا ممن يأكله كان هذا الأمر مستنكراً عنده حيث راعه أمرهم[4].

---

(١) البرهان في علوم القرآن(٤٣٤/٢) تحقيق: د. يوسف المرعشلي، جمال الذهبي، إبراهيم الكردي، دار المعرفة بيروت – لبنان.

والزركشي: هو الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي، أحد العلماء الأثبات، وجهبـــذة من جهابذة أهل النظر وأرباب الاجتهاد، وعلم من أعلام الفقه والحديث والتفسير وأصول الدين، ولد بالقـــاهرة سنة خمس وأربعين وسبعمائة، وتوفي بمصر في رجب سنة أربع وتسعين وسبعمائة.

ترجمته في: الدرر الكامنة (٣٩٧/٣) لابن حجر ط٢، حسن المحاضرة في أخبار مصر القاهرة للسيوطي (٢١٨/١) تحقيق: محمد أبو الفضل، طبعة ١٣٨٧هـــ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلـــي (٣٣٥/٦) ط القدسي ١٣٥١هـــ.

(٢) القاموس ٦٢٧، مؤسسة الرسالة، ط الثانية، ١٤٠٧هـــ - ١٩٨٧م.

(٣) سورة هود: الآية (٧٠).

(٤) انظر: تفسير جامع البيان في تأويل القرآن (٦٩/٧).

أقسام الإنكـــــار:

١- إنكار الواقع في الإيجاب – وذلك إذا كانت الأفعال المنكرة واقعـــة يـــراد تقبيحهـــا والتعجيب منها وتوبيخ فاعلها، وبيان أنه ما كان ينبغي أن تقع[١]، والمـــراد الإنكـــار للتوبيخ على أمر قد وقع في الماضي[٢].

٢- كقوله تعالى:

[illegible][٣].

٣- إنكار الواقع في النفي في أســـاليب: [illegible][٤] [illegible][٥] فتـــرك التقوى، وعدم العقل، كل ذلك واقع والمخاطبون موبخون على هذا الترك؛ لذا يطلب منهم التقوى والعقل.

٤- إنكار الوقوع – أي التكذيب في الإيجاب – أي الإثبات – وذلك إذا كانت الأفعال المنكرة غير واقعة يراد نفي وقوعها، واستبعاده والسخرية مـــن مـــدعي وقوعهـــا، والتعجيب منه[٦].

كقوله: [illegible][٧] فإنه ينكر عليهم هذه الافتـــراءات والادعـــاءات، وهـــي: أن الله اصطفاهم بالبنين: واتخذ من الملائكة بنات له، فهو يكذبهم بهذا القول الـــذي صـــدر منهم، ومثله قوله سبحانه: [illegible]

---

(١) أساليب الاستفهام في القرآن، عبد العليم فوده، ١٩٤.

(٢) انظر: علم المعاني ٨٧.

(٣) سورة الكهف: الآية (٧٤).

(٤) سورة الصافات: الآية (١٢٤).

(٥) سورة الأنبياء: الآية (١٠).

(٦) أساليب الاستفهام في القرآن، ١٩٥.

(٧) سورة الإسراء: الآية (٤٠).

ÇíîÈ brã©x ? Ÿx ù& ÇíîÈ á[1] فهو إنكار عليهم وتكذيب لهم فيما ادعوه[2].

٥- إنكار الوقوع في النفي حيث يراد الإثبات وهو التقرير بمعنى التحقيق كقولـــه â &r9Ň
ƒ 6òãŷä(r¢ Ĵ$éŕÂ' äq› Ã ß` %ß@ á[3].

وخلاصة القول: تبين مما سبق أن الاستفهام الإنكاري بأقسامه الأربعة معناه إنكار الوقـــوع سواء كان ذلك في الماضي، أو المستقبل، على سبيل التوبيخ، أو التكذيب فهو إنشاء لفظـــا خبر معنى.

ومن الأمثلة أيضاً على الاستفهام الإنكاري الذي يحمل معنى الخبر ما يلي:

١- â è@ã &îö$Ž‹ &B/ïä á[4].

أنكر وقوع اتخاذ الولي لا في كل حال، بل في حال تعلقه بغير الله والمعنى: لا أتخذ وليـــاً سواه[5]، ويجب في الاستفهام الإنكاري أن يقع المنكَّرُ بعد همزة الاستفهام، ففي هـــذه الآية المنكر "المفعول" .

٢- â ùg@ãõ= 7ä ĵŵž$%)ŷ$ãš »ÅÀ)qb á[6].

استفهام نفي، أي لا يهلك أحد غير القوم الفاسقين، أو هو تقرير إثبات الهـــلاك لهـــم وحدهم، ففيه معنى التهديد والوعيد الشديدين، والنفي فيه أظهر، بـــل هـــو منطـــوق العبارة[7].

---

(١) سورة الصافات: الآيات (١٥٣ – ١٥٥).

(٢) البلاغة فنونها وأفنانها، ٢٠١.

(٣) سورة القصص: الآية (٤٨).

(٤) سورة الأنعام: الآية (١٤).

(٥) أساليب الاستفهام في القرآن، ٢١.

(٦) سورة الأحقاف: الآية (٣٥).

(٧) انظر التفسير البلاغي للاستفهام (١٠٨/٤) انظر أساليب الاستفهام في القرآن ١٠٤.

٣- â dr@ éÉ ìü ï»gÎ ùvšÞ3ø§ qÞ ‘ á[١] .

الاستفهام في (وهل نجازي) إنكاري في معنى النفي، كما دل عليه الاستثناء والمعنى: ما يجازى ذلك الجزاء إلا الكفور؛ لأن ذلك الجزاء عظيم في نوعه[٢].

٤- â MR'ù& ÊZêÉ `B äÞ Î'$Z9$ í á[٣] .

يقول تعالى: أفمن كتب الله أنه شقي تقدر تنقذه مما هو فيه من الضلال والهلاك أي لا يهديه أحد من بعد الله؛ لأنه من يضلل الله فلا هادي له ومن يهده فلا مضل له[٤].

فالزمخشري يرى أن همزة (أفأنت) مزيدة لتأكيد الإنكار وتبعه السيوطي أيضا[٥].

٥- â MR'ù& ÊÜóêÉ ÞÁ9$ÏÜ ör ø. qç÷ Ïw ÷ÊÈ ÞÊ á š c[٦].

٦- â MR'ù& ÊÜ ‘ ör ø. qç÷ Ïw ÷ÊÈ ÞÊ á š c[٧].

---

(١) سورة سبأ: الآية (١٧).

(٢) التحرير و التنوير (١٧٣/٩) .

(٣) سورة الزمر: الآية (١٩).

(٤) تفسير ابن كثير (٦٣/٤) .

(٥) انظر: الكشاف ٩٣٧ والإتقان (٢٤٠/٣) .

السيوطي: هو عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين أبي بكر بن الفخر عثمان بن ناظر الدين بن محمد ابن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين همام الخضيري السيوطي، العلامة المشهور في الآفاق وفضائله وتصنيفاته مذكور في محاضراته، ومن مصنفاته: الإتقان في علوم القرآن، الدر المنثور في التفسير المأثور، وترجمان القرآن في التفسير المسند، أسرار التنزيل يسمى قطف الأزهار في كشف الأسرار، ولباب النقول في أسباب النزول، ومفحمات الأقران والمهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، والاكليل في استنباط التنزيل، وتكملة تفسير الشيخ جلال الدين المحلي، والتحبير في علوم التفسير والحاشية على تفسير البيضاوي سماها نواهد الأبكار وشوارد الأفكار، وتناسق الدرر في تناسب السور، ولد في سنة تسع وأربعين وثمانمائة، وتوفي في سنة إحدى عشرة وتسعمائة. ترجمته في طبقات المفسرين للأدنروي (٣٦٥/١) .

(٦) سورة يونس: الآية (٤٢).

(٧) سورة يونس: الآية (٤٣).

٧- â 'ùR6MêqÜóRÏ$9ÁO•Ä0 ¥‰ïÖ ¥ ¥‰ïÖ " ‰ïÖ ¥ ¥‰ïÖ ðÃ¥ á ' ðÃ¥[١].

قال أبو السعود[٢] في تفسيره: "همزة الاستفهام إنكارية والفاء عاطفة.. كأن قيل: أيستمعون إليك فأنت تسمعهم.. ولو انضم إلى هممهم عدم عقولهم؛ لأن الأصم العاقل ربما تفرس إذا وصل إليه صوت، وأما إذا اجتمع فقدان السمع والعقل فقد تم الأمر[٣].

وقال في الآية الأخرى (ولو كانوا لا يبصرون) أي ولو انضم إلى عدم البصر عدم البصيرة، فإن المقصود الاعتبار والاستبصار، والعمدة في ذلك هو البصيرة[٤].

وكون الاستفهام في الآيتين للإنكار بناء على تنزيل المخاطب r مترلة من رأى نفسه قادراً على إقناعهم وهدايتهم هذا هو رأي المفسرين القدامى"[٥].

٨- â ŽëóÙ& á ŽëóÙ& â .[٦]á wwÁÿÃ =»GÂ¥ÃÃà6 ¥ÃÎ A“R& ü ‰ïÖqèr $VJ3m ÓÈGÃ «á ŽëóÙ& â

الإستفهام للإنكار فمدار الإنكار هو ابتغاء غيره تعالى حكما لا مطلق الابتغاء[٧].

وفي هذه الآية إنكار نوع ظاهره إنكار المتكلم على نفسه ولكنه يقصد الإنكار على غيره فقوله â ŽëóÙ& á «á يريد أفغير الله تبتغون بدليل قوله: â A“R á ¥ÃÃà6 ¥ÃÎ[٨].

---

(١) سورة الزخرف: الآية (٤٠).

(٢) هو أبو السعود العمادي ابن الشيخ محمد بن مصطفى العماد، وقد ولد في شهر صفر سنة ست وتسعين وثمانمائة قرأ حاشية التجريد وشرح المفتاح وشرح المواقف من أوله إلى آخره على أبيه، وكان في مسند المشيخة الإسلامية قريبا إلى ثلاثين سنة، وصيف إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم في التفسير وكان تفسيره من أمثال الكشاف والبيضاوي من أكمل التفاسير. ترجمته في كشف الظنون عن أسامي الكتب (١٨٥) دار الكتب العلمية، وطبقات المفسرين لأحمد بن محمد الأدنوري تحقيق سليمان بن صالح الخزي ط / الأولى مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة (١/ ٣٩٨) .

(٣) تفسير أبي السعود (٢٤٣/٣) .

(٤) تفسير أبي السعود (٢٤٣/٣) .

(٥) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن (٢/٥٨ – ٥٩).

(٦) سورة الأنعام: الآية (١١٤).

(٧) تفسير أبي السعود (٤٣٤/١) .

(٨) المصدر السابق، ٢٠٧.

٩ - â @è $Žöóù& «! pÎÿãù? &ç%ã &k$$ øg»ĝqb ÈÍïÇ á[1] .

الاستفهام هنا للإنكار، ويردف على هذا الإنكار، التبكيت، والتوبيخ والتجهيل، وإيلاء (غير) همزة الاستفهام لأنه محط الإنكار، وإيثار المضارع "أعبـــد" لاستحـــضارك الـــصورة وإنكارها، وكذلك (تأمروني) وليشمل الإنكار عبارة â $Žöóù& «! á في عموم الأوقات â &k$ $øg»ĝqb á نداء إهانة وتحقير[2] .

فالمخاطب محمد – صلى الله عليه وسلم – ينكر على هؤلاء الجهلة الذين يطلبون منـــه عبادة غير الله تعالى بأسلوب الاستفهام الإنكاري.

---

(١) سورة الزمر: الآية (٦٤).

(٢) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن، (٣/٤٤٧) .

المبحـــث الثانـــي

التقـريـــر

المبحث الثاني

التقـريـــر

التقرير في اللغة: الإقرار والإذعان للحق[١].

التقرير اصطلاحاً: حملك المخاطب على الإقرار، والاعتراف بأمر قد استقر عنـــده[٢]. والذي سنسلط عليه الضوء في هذه الدراسة – إن شاء الله – هو التقرير بمعـــنى التحقيـــق والتثبيت؛ لأن هذا القسم إنشاء من حيث اللفظ؛ لأن صيغة الاستفهام من أقسام الإنـــشاء، خبر من حيث المعنى؛ لأن معناه تثبيت الخبر وتحقيقه[٣].

١- ومما ورد من الآيات وفيها استفهام وإخبار قوله تعالى: â &¹ÐÎ ¢ÈÈ¹ &r9$ ¨ &»¹ ;GÃNB ¸Ã7xß% ©[٤].

قال عمر بن الخطاب – t - لما كان يوم أحد عوقبوا بما صنعوا يـــوم بـــدر مـــن أخذهم الفداء، فقتل منهم سبعون، وفرَّ أصحاب الـــنبي r ، وكُـــسِرَت رباعيتـــه وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه صلى الله عليه وسلم [٥].

قوله: â &¹ÐÎ ¢ÈÈ¹ &%ß á خبر أكد للسامعين بحرف التوكيد [قد] الداخل على الفعل الماضي؛ مما يزيد في حقيقة وقوعه؛ والسامعون الذين سبق لهم ذلك الخبر لا يشكون في أمر حصوله ولا يجهلونه وإنما أريد تذكيرهم به بعد ذهولهم عنـــه، كمـــا أريـــد تقريرهم من خلاله وبناء الاستفهام الإنكاري عليه[٦].

والفائدة الأخرى فطن لها الفخر الرازي حيث قال "الفائدة في قوله â &¹ÐÎ ¢ÈÈ¹ &%ß á

---

(١) القاموس، ٥٩٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي (٤٣٦/٢) وانظر البلاغة فنونها وأفنانها ١٩٧.

(٣) انظر البلاغة فنونها وأفنانها ١٩٨.

(٤) سورة آل عمران: الآية (١٦٥).

(٥) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، ٢٣٧.

(٦) النظم القرآني في آيات الجهاد ٢٦٤.

هو التنبيه على أن أمور الدنيا لا تبقى على نهج واحد فلما هزمتموهم مرتين، فأي استبعاد في أن يهزموكم مرة واحدة[1].

والهزيمة المقصودة من قوله هي هزيمة المشركين في بدر، وفي أول غزوة أحد فهاتان هي المرتان، والهزيمة التي هزم فيها المسلمون هي بعد نزول الرماة من الجبل في آخر الغزوة.

٢- يقول العبد الصالح لموسى – عليه الصلاة والسلام – â * A$% Ō9& Ô@@& 7 Ĵ 7R 9 `

@ ǵĞÜ‹ì ÉBÓ ¹ |ƅZ# ÈÎÇ á[2] فهذا الحوار هو تحقيق وتثبيت لما قاله العبد الصالح لموسى – عليه الصلاة والسلام – حينما طلب متابعته، فأخبره الخضر أنه لن يطيــق صــبرا فهذا تثبيت للقول وتحقيق له.

٣- â %$Ѻ(ŧ ä&RM| ùèù‡M| d»‹# Ĩ«$Ĩ|l Ĝ Z$ ƒ»ƒ•ůǓÐ ÈĪÇ á[3].

والتقدير أم غيرك.

٤- â r ƒǫPã ê• ÙÞ$$ 0iû .ÿã ŗ‡ ã?’ $9Z$ í &9Ø § d»‹# Ŝ ƒ ā s ŧ á[4].

وهذه الآية دلت على التقرير، مع التهكم، والتوبيخ[5].

٥- ومنه قوله سبحانه في شأن إخوة يوسف – عليه الصلاة والسلام -: â ù=B$$ ÖŐ ƥ« Ýq ŧ

ǵ ǵB z =ÀqŦ Ǿ$$ %$A 2Ŷ ĵǦ ƏN ?Nè=3Բ& c ž &/$Ň %ő Ŝ& z › æŗ ƏN Bą ÖĬ $ Ɓ `

$ ‹ á[6].

وهم لا ينكرون ذلك فهو يريد تثبيت أخذ الميثاق، وتحقيقه، والمعنى: قد علمــتم أن

---

(١) التفسير الكبير (٩/٨١) .

(٢) سورة الكهف: الآية (٧٥).

(٣) سورة الأنبياء: الآية (٦٢).

(٤) سورة الأحقاف: الآية (٣٤).

(٥) أساليب الاستفهام في القرآن، ٢٢٢، انظر تفسير أبي السعود (٦/٨٠) الكشاف (١٠١٦) .

(٦) سورة يوسف: الآية (٨٠).

أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله[1].

٦- â %0ô$Ž¥9 7¹ ‘8È¦ç á[2].

استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار، فأفادت إثبات الشرح فهو استفهام تقرير، وامتنان، وتبهيج لقلب النبي r، وهذه العبارة فيها تبهيج وترويح عن النبي r، وإيثار الاستفهام على الخبر، حيث لم يقل: قد شرحنا لك صدرك لما في الاستفهام من قوة الإثبات وتحريك المشاعر، والإيحاء بطلب الجواب؛ لتمكين المعنى في النفس كل التمكين[3].

وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار والإنكار نفي وقد دخل على المنفي ونفي المنفي إثبات[4].

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها، ١٩٨.

(٢) سورة الإنشراح: الآية (١).

(٣) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم (٣٦٩/٤) تفسير النسفي: ١٣٥٨.

(٤) البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي (٤٣٨/٣) .

المبحث الثالث

المدح والترغيب

المبحث الثالث: المدح والمبحث الرابع: الترغيب

المدح: هو الثناء الحسن[١]، تقول مَدحه، وامتدحه، وفلان ممدوح وممتدح ومُمَدَّح يُمدح بكل لسان[٢].

الترغيب: من رَغِبَ فيه أرَادَه[٣].

بعد القراءة في أسلوبي المدح والترغيب رغبت في دمج المبحثين؛ لما بينهما من التداخل؛ ولأني أرى في كثير من الآيات الجمع بين هذين الأسلوبين عند المفسرين.

فأسلوب المدح والترغيب من الأساليب البلاغية في الجمل الخبرية وعند التأمل في كتاب الله، وإمعان النظر في الآيات القرآنية، يجد المرء أن أسلوب المدح والترغيب من أساليب العبودية لله تبارك وتعالى، ومن الأمثلة على ذلك:

١- á ÇÈ bqÈ» z ÍÍX ¹ 'Î Ì ûï GÇÈ bqÈ x= â [٤].

(قد) التحقيقية وهي هنا دخلت على الفعل الماضي، وتفيد تحقُّقَ حصوله فهي في مثل هذه الجملة تفيد توكيد مضمونها، أي أن فلاح المؤمنين الخاشعين في صلاتهم حق ولا محالة حاصل[٥] وهي صفة مدح[٦].

ففي الآيات تنويه من الله بذكر عباده المؤمنين، وذكر فلاحهم وسعادتهم وبأي شيء وصلوا إلى ذلك، وفي ضمن ذلك الحث على هذه الآيات، يعرف بذلك ما معه وما مع غيره من الإيمان زيادة ونقصا كثرة وقلة[٧].

---

(١) مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، مادة مدح ٢٩١ المكتبة العصرية صيدا، بيروت.

(٢) أساس البلاغة للزمخشري، ٤٢٣.

(٣) مختار الصحاح ١٢٥.

(٤) سورة المؤمنون: الآية (١ – ٢).

(٥) البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ٦١، انظر علم المعاني ٤٦.

(٦) الكشاف ٧٠٣.

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٥٤٧.

٢- á ÇíÈ ÐŠtb ’Å9 ‘$Ê[ÐŠtb]r ÇíÈ ÐŠtR ’Å9 ‘#•ÐŠ[$tb] â [(١)].

"إنَّ" (المكسورة الهمزة المشددة النون) من مؤكدات الخبر.

فهذه الجملة سيقت في معرض المدح، فهذه الجملة قد خرجت عن أصل وضعها، وهو الثبوت، وأفادت الدوام، والاستمرار، أي أن الأبرار في نعيم دائم مستمر[(٢)] وفيه لطف للمؤمنين[(٣)].

٣- وفي ثناء الله تبارك وتعالى على أخلاق نبيه r قال: á ÇíÈ ÐŠtà ã @èz 4?è9 7 R]r â [(٤)]

"إن" (المكسورة الهمزة المشدّدة النون) + (لام الابتداء) ودخلت اللام على شبه الجملة، وقد سئلت عائشة[(٥)] – رضي الله عنها – عن خلق النبي r ، فقالت: كان خلقه القرآن فهذا هو الذي يضاد مقصد الكفار في قولهم مجنون أي غير محصل لما يقول وإنما مدحه تعالى بكرم السجية وحسن الخلق[(٦)].

قال ابن عاشور: – رحمه الله –

واعلم أن جماع الخلق العظيم الذي هو أعلى الخلق الحسن هو التدين ومعرفة الحقائق، وحلم النفس، والعدل، والصبر على المتاعب والاعتراف للمحسن والتواضع، والعفة، والعفو، والحياء والشجاعة، وحسن الصمت والتؤدة والوقار والرحمة، وحسن المعاملة،

---

(١) سورة الإنفطار، الآيات (١٣ – ١٤).

(٢) علم المعاني، ٣٨.

(٣) الكشاف للزمخشري ١١٨٦.

(٤) سورة القلم: الآية (٤).

(٥) عائشة ابنة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنها، أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم، تزوجها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بمكة قبل الهجرة بسنتين، وبنى بها في المدينة المنورة وعمرها تسع سنين، وكانت عالمة فقيهة، من حافظات كتاب الله وسنة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ تكنى بأم عبد الله، وكان أصحاب رسول الله يسألونها عن الفرائض، قال عطاء بن رباح: كانت عائشة أعلم الناس وأفقه الناس وأحسن الناس رأياً في العامة، ولما رماها المنافقون برأها الله من فوق سبع سماوات توفيت سنة ٥٧ هـ. وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه. أنظر طبقات ابن سعد: (٥٨/٨) حلية الأولياء، لأبي نعيم، دار الكتب العلمية، بيروت (٤٣/٢)، أسد الغابة: (٤/ ٤٣٥) تاريخ الإسلام: (٢/ ٢٩٤)، تهذيب التهذيب: (١٢ / ٤٣٣) .

(٦) تفسير المحرر الوجيز لتفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (٣٤٦/٥) .

والمعاشرة[١].

٤- á ä¤ã$!$ß‹Ü ¡9 ’ îr bî â [٢] .

لام الابتداء في قوله "إنَّ" (المكسورة المشددة النون) وفائدة لام الابتداء في قوله â 9¡ ß‹Ü á توكيد مضمون الحكم، ودخلت هنا على خبر إن"[٣].

وفي الآية حث وترغيب المؤمنين بالدعاء، الذي هو العبادة التي فيها خضوع، وتذلل وانكسار بين يدي الله.

٥- Çã bögz⁄r Å‹ rëèJ¿ø šc rêÛ <Ù è/ â¤ßÏr¿ ßÛÒè/ ÅM»Ÿ‹s3¿ø bqžÅ‹s3¿ø â

7 í»9rév¥ø‘r ©$šc qèÜãr o4."9$šc qèsãr o4=Á9$šc qßÉãr ì3Z3¿ø

.[٤] á ª¡ $ßßÇqž•™

الشاهد: á ª¡ $ßßÇqž•™ 7 í»9rév â .

(السين) المفردة حرف يختص بالمضارع ويخلصه للاستقبال[٥].

فقوله (أولئك) إشارة إلى المؤمنين والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما سلف من الصفات الفاضلة، وما فيه من معنى البعد؛ للإشعار ببعد درجتهم في الفضل، أي أولئك المنعوتون بما فضل من النعوت الجليلة، سيرحمهم الله فالسين مؤكدة للوقوع لا محاله[٦].

---

(١) التحرير والتنوير (١٢/٦٤) .

(٢) سورة إبراهيم: الآية (٣٩).

(٣) علم المعاني، ٤٥.

(٤) سورة التوبة: الآية (٧١).

(٥) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (١/٦٧)، المكتبة العصرية صيدا – بيروت، ط١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، وانظر الكشاف للزمخشري ٤٤١ وانظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني تأليف العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي (٦/١٨٩).

(٦) تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب العزيز (٣/١٦٩). وانظر: روح المعاني (٦/١٨٩).

٦- â ÎÇèøÈ¿Ç ßbÎ$¹Ø`»'Ø¡ ÆaÈ¿Ç ÆÈ¿Ç(١)á.

أقسم سبحانه بالعصر؛ لفضلها الباهر، قسماً يراد به تأكيد الخبر، كما هو شأن أقسام القرآن(٢)، فهو يحث ويرغّب في أدائها؛ لقوله سبحانه (والصلاة الوسطى) وهذا الخبر مراد به الحصول في المستقبل بقرينة مقام الإنذار والوعيد، أي لفي خسر في الحياة الأبدية الآخرة فلا التفات إلى أحوال الناس في الحياة الدنيا"(٣).

وقد تأتي كثير من الآيات في الحث على التوبة، والرجوع إلى الله كما في قوله: âÎbð $©ÎîÏmÈ÷ÖÜÞßâ(٤)á. ففيها ترغيب، ومبالغة في الرحمة، والغفران، وإشارة لهؤلاء العصاة لعلهم يقبلو على الله(٥).

---

(١) سورة العصر، ١، ٢.

(٢) التحرير والتنوير (٥٢٨/١٢) .

(٣) المصدر السابق (٥٢٨/١٢، ٥٢٦) .

(٤) سورة المائدة: الآية (٣٩).

(٥) انظر التحرير والتنوير (١٩٣/٣)، أبي السعود (٢٦٩/٣)، وانظر روح المعاني (١٨٣/٤) .

المبحث الخامس والسادس

الذم والترهيب

المبحث الخامس والسادس

الذم والترهيب

الذم: ضد المدح تقول ذمَّ صاحبه ذما ومذمَّه، وذمَّه ورجل ذام وذمَّام لأصحابه، وأذم فلان وألام: أتى بما يُذم عليه ويلام [١].

الترهيب: رهب أي خاف، وأرهبه واسترهبه أخافه[٢].

وقد دمجت بين هذين المبحثين للأسباب نفسها التي ذكرتها في المبحثين السابقين.

وأساليب الذم والترهيب في القرآن كثيرة، فكما أن أساليب المدح والترغيب فيها حث للمؤمنين، واستنهاض لهممهم وعزائمهم، في التزود بالأعمال الصالحة، فكذلك أساليب الذم والترهيب فيها زجر وتهديد للكفرة والملاحدة لعلهم يستيقظون من رقدتهم.

وأمثلة ذلك في القرآن كثيرة مثل:

١- á ÇíÈ Ðšïb ’Ä ‘$Ëðøøšb)r â [٣] .

المؤكدات هنا "إنَّ" (المكسورة الهمزة المشددة النون) (ولام الابتداء) فالجملة الأسمية قد يكتنفها من القرائن، والدلالات، ما يخرجها عن أصل وضعها فتفيد الدوام والاستمرار، كأن يكون الكلام في معرض الذم، أي إن الفجار لفي جحيم دائم مستمر[٤].

٢- á Çi¦È = ¡ Ÿ2 $Br ½ŒŠB qŸ¤ã á_ø& $B ÇiÈ ¡=?r 5=g9 ’Î& #‰ƒ ßM7? â [٥].

أبو لهب هو (عبد العزى بن عبد المطلب)[٦] عم النبيَ r تَبت هلكت وافتتاح السورة بالتباب مشعر بأنها نزلت لتوبيخ ووعيد، فذلك براعة استهلال مثل: ما تفتح أشعار

---

(١) أساس البلاغة للزمخشري، ١٤٥.

(٢) مختار الصحاح ١٣٠.

(٣) سورة الإنفطار: الآية ١٤.

(٤) علم المعاني، ٣٨.

(٥) سورة المسد: الآيات ١ – ٢.

(٦) تفسير أبي السعود (٤٨٤/٦) .

الهجاء بما يؤذن بالذم والشتم[١]، (ما أغنى) (ما) نافية ويكون الكلام خبرا حيث لم تغن عنه الدنيا شيئا حين ختم له بالعذاب[٢].

٣ - á ëïÜ»«±9$b⁰q÷ž)(þ‰. ûïíÉ6ÛÛ8b)â [٣].

أسلوب ذم؛ لأن الشيطان لا يدعوا إلا إلى كل خصلة ذميمة[٤].

فهم إخوان الشياطين؛ لأنهم أمثالهم في الشر، وهي غاية المذمة؛ لأنه لا شر من الشيطان فهو يأمر بالسوء ويدعو إلى الإسراف[٥].

٤ - á ÇÎÈšc rëz2 ¤ƒ ÓÖF9 ÑÖÿtz ôB Oûî šh³ù É ös¥ ’îÑêÿ)₩? $Bîù â [٦].

الشاهد (إما) تزاد في الكلام لمجرد التأكيد، وهذا كثير في القرآن والشعر وسائر الكلام لكن يتأدب مع القرآن فيقال أنها صلة وأصل تركيب "فإما تثقفنهم في الحرب" فإن ما تثقفنهم" فـ(إن) حرف شرط، يدل على ارتباط جملتين بعضها ببعض، و(ما) حرف زائد للدلالة على تأكيد هذا الارتباط في كل حال من الأحوال[٧].

والفائدة: لترتيب ما بعدها على ما قبلها.

وفي الآية أسلوب ترهيب، وتخويف، وزجر للعدو؛ وسبب لازدجار من لم يعمل عملهم، أي إما تغلبنهم وتظفر بهم في الحرب، فنكل بهم وغلظ عقوبتهم وأثخنهم مثلاً؛ ليخاف من سواهم من الأعداء من العرب وغيرهم، ويصيروا لهم عبرة[٨].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٢/٦٠٠) .

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكلام العزيز (٥/٥٣٤) .

(٣) سورة الإسراء: الآية (٢٧).

(٤) تفسير ابن السعدي ٤٥٦.

(٥) انظر: الكشاف، ٥٩٥.

(٦) سورة الأنفال: الآية (٥٧).

(٧) علم المعاني ٩/٤٧، انظر: التحرير والتنوير (١٠/٤٩)، المحرر الوجيز (٤/١٣٩) .

(٨) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٤٢٢) .

.[1]á þîn Oïm' $B žw) äþ• 9$# 8' $BÝ(§ ÿZ9$b) ûÅ ÿR ä—h/é$Br * â -٥

والمعنى: أي لا أنزهها عن السوء قال _عليه الصلاة والسلام_ هضماً لنفسه الكريمة البريئة عن كل سوء، ورياً بمكانها عن التزكية والإعجاب بحالها عند ظهور كمال نزاهتها[2].

فالمتأمل في هذه الآية الكريمة يجد أن المخاطب بها خالي الذهن من الحكم، أو من المضمون ومن قوله تعالى: (إن النفس لأمارة بالسوء) ولكن هذا الحكم لما كان محكوما عليها بشيء غير محبوب أو مرغوب فيه، أصبح المخاطب بقوله: "إن النفس لأمارة بالسوء" متطلعا إلى نوع هذا الحكم الذي يجهله ولا يدري حقيقته؛ ومن أجل ذلك نزل هذا المخاطب منزلة المتردد الشاك وألقي إليه الخبر مؤكداً استحساناً[3].

•ÿöï ª! $Ça/ ô©•ÿä (rŠ#Š$Ûê (rãÿ. Ûê (qãB#ä Ûê (rãÿ. Ûê (qãB#ä ûïÏ%$b) â -٦

.[4]á Ñç

قوله "إن" (المكسورة الهمزة المشددة النون) تفيد تأكيد مضمون الخبر أو الجملة[5].

وهي في قوم تكرر منهم الارتداد، وأصروا على الكفر وازدادوا تمادياً في الغي[6].

ففي الآية نفي للغفران والهداية، وهذا يدل على مذمة هؤلاء الذين تكرر منهم الارتداد، والإصرار على الكفر، والتمادي في الغي[7].

ÿïnî (r•© $B š [ô$9r 9»=z ïÆ Ë ó•Å F$ 'î ¼ç9 $B ç1ŽIô$ ÇJ9 (qßîã ß)9r â -٧

(١) سورة يوسف: الآية (٥٣).

(٢) تفسير أبي السعود (٣/٤٠٥) .

(٣) علم المعاني ٤٩، انظر بغية الإيضاح ٤٦.

(٤) سورة النساء: الآية (١٣٧).

(٥) البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ٥٩.

(٦) روح المعاني للألوسي (٥/١٧٠) .

(٧) انظر: الكشاف للزمخشري ٢٦٥، تفسير أبي السعود (٢/٢٠٨) .

á šc qΩ-ê/ ¢qR$Ÿ2 qº ŠΩ¡ÿR& [1]. بئس للذم العام.

â Ÿ© $B â á ŠΩ¡ÿR& ÿïî? ¢ÿ•© أي باعوها اللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف أي، وبالله لبئسما باعوا به أنفسهم السحر أو الكفر، وفيه إيذان بأنهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا أنفسهم للتهلكة وباعوها بما لا يزيدهم إلا تبارا[2].

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٠٢).

(٢) تفسير أبي السعود ١_١٧٥.

المبحث السابع

اللوم والتوبيخ

المبحث السابع

اللوم والتوبيخ

اللوم: جمع لائم، واللائمة، والملامة، يقال: ما زلْتُ أَتجرَّعُ فيك اللوائم وألام الرجل أتى بما يلام عليه[١].

التوبيخ: أي التهديد والتأنيب[٢].

وكثيراً ما تأتي الآيات القرآنية على صيغة التوبيخ واللوم لأولئك المعاندين الذين تمسكوا بدين آبائهم، فاستحقوا هذا الزجر والردع في الدنيا، والخزي والعذاب في الآخرة.

ومن أمثلة اللوم والتوبيخ:

١- á ÓÍ¯ÖÜ»ƒÊ Ÿr â [٣]á bqê•øB Nå) {þ3=ß ûï¼$’ Î ÓÍ¯ÖÜ»ƒÊ Ÿr â أي لا تراجعني فيهم[٤] الشاهد: (إنهم مغرقون) أي لا تخاطبني في إمهال الكافرين أو العفو عنهم؛ لأنهم ظلموا أنفسهم؛ بسبب الكفر والهلاك بالغرق[٥].

قال ابن عاشور: - رحمه الله -

وفي الآية إخبار بما سيقع، وبيان لسبب الأمر بصنع الفلك، وتأكيد الخبر بحرف التوكيد في هذه الآية مثال لتخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر بتنزيل غير السائل المتردد منزلة السائل إذا قدم إليه من الكلام مما يلوح إلى جنس الخبر، فيستشرفه لتعيينه استشرافا يشبه استشراف السائل عن عين الخبر[٦].

٢- á bqçÛ)Zƒ 5=)Zß£ &{þ3=ß ûï¼$Ð=è‹™r â [٧].

---

(١) مختار الصحاح ٢٨٦.

(٢) المصدر السابق ٣٣٢.

(٣) سورة هود: الآية (٣٧).

(٤) تفسير أبي السعود (٣/٣١٠) .

(٥) انظر: تفسير البغوي (٢/٣٨٢) تفسير الطبري (٧/٣٥) .

(٦) التحرير والتنوير (٥/٦٧) .

(٧) سورة الشعراء: الآية، ٢٢٧.

قوله: (وسيعلم الذين ظلموا) تهديد شديد، ووعيد أكيد بليغ لشعراء المشركين الذين هجوا رسول الله r ، وقوله " bqçGZf 5=)ZÆ£ " أي مرجع يرجعون إليه بعد الموت[1].

ففي الآية لوم وتوبيخ لما في "سيعلم" من تهويل متعلقه، وفي (ûïÍ) الإطلاق والتعميم، وفي أي (bqçGZf 5=)ZÆ) الإبهام والتهويل[2].

قال ابن عاشور – رحمه الله –

(وهذه الآية تحذير من غمص الحقوق، وحث على استقصاء الجهاد في النصح للأمة وهي ناطقة بأهيب موعظة وأهول وعيد، لمن تدبرها؛ لما اشتملت عليه من (حرف التنفيس) المؤذن بالاقتراب ومن (اسم الموصول) المؤذن بسوء المنقلب يترقب الظالمين لأجل ظلمهم...) [3].

٣- á bqèJè?$ãÆ@ÿ»ó¡ª$$Br â [4].

(الباء) من استعمالاتها أن تزاد، وقد تزاد كثيراً في الخبر بعد ما النافية وعندئذ تكون زيادتها لتوكيد نفي ما بعد ما[5].

"@ÿ»ó¡ " خبر مراد به التهديد والوعيد[6] للمكذبين والجاحدين لآيات الله ونبوة محمد r ، والمتقولين عليه الأباطيل من بني إسرائيل وأحبار اليهود، (مما تعملون) من أعمالكم الخبيثة وأفعالكم الرديئة ولكنه محصيها عليكم فمجازيكم عليها في الآخرة أو معاقبكم عليها في الدنيا[7].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٤٠٥/٣) تفسير أبي السعود (٦٦/٥) الكشاف ٧٧٤.

(٢) تفسير أبي السعود (٦٦/٥) .

(٣) التحرير والتنوير (٢١٣/٨) .

(٤) سورة البقرة: الآية (٧٤).

(٥) علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق ٤٨، انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعارب (١٢٨/١) .

(٦) التحرير والتنوير (٥٦٦/١) .

(٧) انظر جامع البيان في تأويل القرآن (٤٠٩/١) .

٤- NÁèFÖ¾ïÅÿR `ã ¼ç?Šr°‘ ñ)9r ïšÜ ÓÍZÇ?ä “ ¼$£ä?‹ù M9$% â ©ûÈr

.(١)á ÇÌÈ ûïÞ6ÁA9$`B $Zqä<9r £Z fóš¼çB#ä $B @èÿf

اسم الإشارة مبتدأ و(ما) موصولة، والجملة التي بعدها صلة والعائد الهاء، والموصول هو الخبر، والمعنى إن كان الأمر كما قلتن، فذلكن الملك الكريم النائي عن المراتب البشرية، وهو الذي لمتنني فيه، أي عيَرْتُنني في الافتتان به(٢).

ويجوز أن تكون (ما) مصدرية، فالضمير المذكور ليوسف أي (لئن لم يفعل أمري إياه(٣))، ولم تزل مصممة على مراودته تصريحا بفرط حبها إياه، واستمشاخا بعظمتها، وأن لا يعصي أمرها، فأكدت حصول سجنه بنوني التوكيد وقد قالت: ذلك بمسمع منه إرهابا له(٤). á ûïÞ6ÁA9$`B $Zqä<9r £Z fóš â .

اجتمعت في هذه الآية نونا التوكيد الخفيفة والثقيلة، وهما أصلان عند البصريين، قال الخليل: والتوكيد بالثقيلة أبلغ(٥).

---

(١) سورة يوسف: الآية (٣٢).

(٢) تفسير أبي السعود (٣/٣٨٨) .

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (١٢/٢٣٣) .

(٤) التحرير والتنوير (٥/٢٦٤) .

(٥) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام (٢/٣٩١) .

خـــلاصـــة القول في الخبـــر:

١- تبين لنا من خلال هذا الفصل أن التقرير، والإنكار، من حيـــث اللفـــظ إنـــشاء؛ لأن صيغة الاستفهام من أقسام الإنشاء، وخـــبر مـــن حيـــث المعـــنى؛ لأن معنـــاه تثبيت الخبر وتحقيقه، ولهذا آثرت أن أجعل التقرير والإنكار في فصل الخبر.

٢- أن هذين الأسلوبين أو الغرضين من أساليب العبودية، فمثلاً أسلوب الإنكار تناولت الآيات القرآنية التي كان فيها الاستفهام إنكاراً وتوبيخاً وتبكيتاً وتهكماً بحـــال كـــل مكذب أعرض عن دين الإسلام، فالله تبارك وتعالى نوع في أساليب الذين آثروا عبادة غيره عليه، فكما أنه لا شريك له في الخلق والربوبية، كذلك لا شريك له في العبـــادة والألوهية. أما أسلوب التقرير فقد رأينا كيف كان الخروج عن طاعة الله ورسوله r سبباً للخذلان والهزيمة في نهاية غزوة أحد.

كذلك في سورة الأنبياء لما وجه قوم إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – الخطاب لـــه في قوله (أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم) فجمع لهم بين الدليل العقلـــي والـــدليل السمعي، الدليل العقلي فلا يشك عاقل أن الذي خلق سائر المخلوقات هو الله وحده لا شريك له، فكل مخلوق مفطور على ذلك، أفيليق عند من له أدنى مسكة من عقـــل وتمييز أن يعبد مخلوقا متصرفا فيه؟ لا يملك نفعاً، ولا ضراً، ولا موتا، ولا حيـــاة، ولا نشورا ويدع عبادة الخالق الرازق المدبر.

"أما الدليل السمعي فهو المنقول عن الرسل عليهم الصلاة والسلام فإن ما جاءوا بـــه معصوم، لا يغلط، ولا يخبر بغير الحق، فلما بين لهم إبراهيم _عليه السلام_ الحـــق، وكسر أصنامهم، وترك كبيرهم ليسألوه إن كان من الناطقين، وهذا الكـــلام مـــن إبراهيم _عليه السلام_ القصد منه إلزام الخصم، وإقامة الحجة عليهم، وعندها رجع هؤلاء المعاندون إلى أنفسهم، بل اعترفوا أنهم على باطل حيث لزمتهم الحجة بإقرارهم أن ما هام عليه في غاية البطلان وأن فعلهم كفر وظلم[١].

٣- كذلك أسلوب المدح والترغيب، امتدح الله عباده المتقين، الذين حققوا الفـــلاح في

---

(١) انظر: تفسير السعدي، ٥٢٦ – ٥٢٧.

الدنيا والآخرة، حيث حافظوا على الصلوات وأدوا حقوق الله وحقوق عباده، وذكر ما أعده الله لهم في الآخرة؛ ترغيبا لمن تخاذل وتقاعس عن سلوك الطريق المستقيم.

كما جاءت آيات كُثُرْ في الحث على التوبة والرجوع إلى قوافل العائدين إلى الله تبارك وتعالى، ففيها مدح لمن تاب وعاد وترغيب للعصاة لعلهم ينالوا رحمة الله تبارك وتعالى.

٤- وعكس هذا الأسلوب أسلوب الذم والترهيب، حيث ذم الله عباده العصاة والكافرين الذين حادوا عن الطريق الحق، إلى طريق الضلال والضياع وجاءت بآيات فيها ترهيب للمشركين، عن طريق تذكيرهم بتدمير المشركين من قبلهم ومآلهم، كما ذكرنا قصة أبي لهب وكيف كان مصيره ونهايته.

٥- كذلك أسلوب اللوم والتوبيخ فقد وردت آيات قرآنية "بصيغة التحدي للآلهة من دون الله ولعابديها؛ وذلك لتقرير حقيقة أنها لا تستحق الألوهية وقد ورد هذا التحدي على لسان كثير من الأنبياء _عليهم الصلاة السلام_؛ لبيان عجز آلهة المشركين عن إلحاق الضرر بهم ومن كان هذا شأنه فليس إلهاً"[(١)]، وسنأتي في الفصل القادم على شيء من هذا.

---

(١) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، تأليف محمد أحمد ملكاوي، مكتبة الرشد، ٣٥٢-٣٥٣، ط ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

الفصل الثالث

القصص

وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول والثاني :

التسلية والتثبيت .

المبحث الثالث: العظة والاعتبار.

المبحث الرابع: التهديد والتحذير.

المبحث الخامس: التشويق .

المبحث السادس: السخرية والاستهزاء .

المبحث السابع: رد شبهات المبطلين .

تمهيـــــد:

شغلت القصة القرآنية في كتاب الله مساحة واسعة بأساليب رائعة تحمل معانٍ ســـامية مشوقة، فمن هذه القصص ما يتحدث عن الأنبياء _عليهم السلام- وأقـــوامهم، وهـــذا الجانب اشتمل على أغلب القصص القرآني، حيث بين مناهج الأنبياء في تحقيق عبوديـــة الله تبارك وتعالى، وذكر معجزاتهم، وصفاتهم الفذة، وانقسام الناس تجاه هذه الدعوة إلى مؤمنين ومكذبين ومآل كل منهم.

وهناك بعض القصص يتحدث عن عباد صالحين: كقصة ذي القرنين وأصحاب الكهف.

حيث بذلوا الغالي والنفيس لدعوة الناس إلى عبودية الله، وبعض القصص يتحدث عـــن مواقف مظلمة لأشخاص بالغوا في العناد والعصيان: كقصة أصحاب الفيـــل، وأصـــحاب الأخدود، وغير ذلك.

إذن فالقصة القرآنية مهما تنوعت أساليبها وطرقها وأغراضها فكلها جاءت تـــصب في مصب واحد وهو تحقيق العبودية لله تعالى.

القصة في اللغة:

القص تتبع الأثر، يقال قصصت أثره، والقص الأثر، والأخبار المتتبعة وهو مصدر يطلق على ما يروى من الأخبار[(١)].

قال سبحانه: â ßtÙ RÞ ãÈ •ãø 7 ôn ¡ `ø8)Á Æ È á[(٢)].

أي نبين لك أحسن البيان في قصة يوسف بن يعقوب - عليه السلام -[(٣)].

قال الرازي: إنما سميت الحكاية قصصا؛ لأن الذي يقص الحديث يذكر تلك القـــصة شيئاً فشيئاً: كما يقال تلا القرآن إذا قرأه؛ لأنه يتلو أي يتتبع ما حفظ منه آية بعد آية[(٤)].

---

(١) المفردات للراغب (٤٠٤/١) .

(٢) سورة يوسف: الآية (٣).

(٣) صفوة التفاسير لمعاني القرآن، تفسير الشيخ حسنين مخلوف، ٣٠٢، مؤسسة زايد بن ســـلطان آل نهيـــان الخيريـــة والإنسانية، ط٦، ١٤١٨هـــ - ١٩٩٧م

(٤) تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب لمحمد الرازي، فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر (٦٨/١٨) دار الفكر، ط الأولى ١٤٠١هـــ - ١٩٨١م، لبنان – بيروت.

المبحث الأول والثاني

التثبيت والتسلية

المبحث الأول التثبيت والمبحث الثاني: التسلية

اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن يرسل رسلاً من البشر لدعوة الخلق إلى عبودية الخالق قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾[٢].

وقال سبحانه: ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾[٤].

يقول تعالى: فكما أرسلناك يا محمد رسولاً بشريا، كذلك قد بعثنا المرسلين قبلك بشراً يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، ويأتون الزوجات، ويولد لهم، وجعلنا لهم أزواجا وذرية[٥]، وقد قال تعالى: لأشرف الرسل وخاتمهم.

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾[٦].

فالرسل والأنبياء يعتريهم ما يعتري البشر من الخوف، والحزن، والهم والفرح والسرور، والضحك، والبكاء، ونحو ذلك وهم بحاجة إلى من يواسيهم ويثبتهم[٧].

وبما أن رسول الله محمد ﷺ خاتمهم، فقد كان تبارك وتعالى يأمره بأن يتأسى بمن سبقه من الرسل - عليهم السلام- في الصبر على أقوامهم فقال: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾[٨].

ونهاه عن الحزن والأسى على ما لاقاه من تكذيب قومه فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾

---

(١) سورة الأنبياء: الآية (٢٥).
(٢) سورة يوسف: الآية (١٠٩).
(٣) سورة الفرقان: الآية (٧).
(٤) سورة الرعد: الآية (٣٨).
(٥) تفسير القرآن العظيم (٢/٦٧٤) .
(٦) سورة الكهف: الآية (١١٠).
(٧) دراسات في علوم القرآن، الرومي ٢٢٨.
(٨) سورة الأحقاف: الآية (٣٥) .

.[1] á ÇìÈ ûüÏÏBsšÃ{qÇq3ƒ žv& 7 ¡ ÿØR

أي مهلك نفسك، أي مما تحرص وتحزن عليه. á ÕÏ, »/ 7 =è9 â

وهذه تسلية من الله لرسوله r في عدم إيمان من لم يؤمن به á ûüÏÏBsšÃ{qÇq3ƒ žv& â من الكفار.[2] وقوله: â 7 =è=ù â : كقوله سبحانه[3] á ÐÙ²£m ÙÍÕã 7 ÝÿØR é=dõ? Ÿx ù â :

.[4] á ÇÏÈ $ÿ™& ï] ƒ‰ÛØS‹»gÎ {qÃBsšÃÕÇbÎ ÙÙÌ»0# #?ã 7 ¡ ÿØR ÕÏ, »/

وقد بعث الله محمداً r إلى قوم غلاظ شداد مفطورين على الجفاء والتعنت وقد لاقى ما لاقى من المحن، والبلايا، تجاه هذه الدعوة الربانية والقرآنية، يسليه ويربط على قلبه، ويتزل عليه القرآن منجما حسب ما يستجد من الحوادث؛ "لأن في تجدد الوحي قوة لقلبه r واستشعاراً لعناية الله برسوله" [5].

وقد اعترض على هذا التزول الكفار المعاندون فقال سبحانه حكايـــة عنـــهم: â A$%r

.[6] á ÇÌÈ

أي لنقوي به قلبك، فإن الوحي إذا كان يـــستجد وفي كـــل á 8Š#sè¾ïÎ MÎ[Ø â حادثة كان أقوى للقلب، وأشد عناية بالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك إليـــه، وتجدد العهد بما معه من الرِّسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز، فيحدث له من السرور مـــا

---

(١) سورة الشعراء: الآية (٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٣٨/٣) .

(٣) سورة فاطر: الآية (٨).

(٤) سورة الكهف: الآية (٦).

(٥) لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير ٥٨ لمحمد لطفي الصباغ المكتب الإسلامي بيروت، ط٣ ١٤١٠هـــ - ١٩٩٠م.

(٦) سورة الفرقان: الآية (٣٢).

تقصر عنه العبارة[١].

[illegible][٢].

فالله يأمره بالصبر والإعراض عن هؤلاء الجاحدين؛ لأن ما حصل من الأذى والتكذيب ليس بدعاً من الرسل، بل حاله كحال الأنبياء السابقين [illegible][٣].

ففي الآية تسلية للرسول r بعد تسلية، وإرشاد إلى منته تعالى في الرسل والأمم، أو هي تذكير بهذه السنة، وما تضمنته من حسن الأسوة، إذ لم تكن هذه الآية أول ما نزل في هذا المعنى... ولولا دفع الأسى بالأسى من مقتضى الطبع البشري لما ظهرت حكمة تكرار التسلية بأمثال هذه الآية، فإن النبي r كان يتلو القرآن في الصلاة، لاسيما صلاة الليل، فربما يقرأ السورة ولا يعود إليها إلا بعد أيام يفرغ من قراءة ما نزل من سائر السور، فاحتيج إلى تكرار تسليته، وأمره بالصبر، المرة بعد المرة؛ لأن الحزن والأسف الذين كانا يعرضان له r من شأنهما أن يتكرر بتكرر سببهما، وبتذكره عند تلاوة الآيات الواردة في بيان حال الكفار ومحاجتهم وإنذارهم[٤].

وقال سبحانه: [illegible][٥].

وأخبره أنه ناصره ومؤيده، على أعدائه، ومظفره بهم، فأمره بأن لا يخف ولا يحزن فلن يصل أحد منهم إليه بسوء يؤتيه[٦]، [illegible][٧].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، ١٠٥، المكتبة العصرية، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، صيدا، بيروت، ط الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

(٢) سورة هود: الآية (١٢٠).

(٣) سورة الأنعام: الآية (٣٤).

(٤) انظر تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، (٣٧٧/٧ – ٣٧٨) ط الثالثة، القاهرة، ١٣٥٤.

(٥) سورة آل عمران: الآية (١٨٤).

(٦) تفسير ابن كثير (١٠٨/٢) بتصرف يسير.

(٧) سورة المائدة: الآية (٦٧).

.[1]á ÇËÈ Ö‹ã ;“ è% ©$žc) þ‹ß‹â r ž ú ‹ø‹ Y ª $=FŸ2 â

وهكذا كانت آيات القرآن تتنزل على رسول الله r تباعا، تسلية بعد تسلية وعزاء بعد عزاء، حتى لا يأخذ منه الحزن مأخذه، ولا يستبد به الأسى، ولا يجد اليأس إلى نفسه سبيلا، فله في قصص الأنبياء _عليهم السلام_ أسوة، وفي مصير المكذبين سلوى، وفي العدة بالنصر بشرى، وكلما عرض له شيء من الحزن بمقتضى الطبع البشري تكررت التسلية، فثبت قلبه على دعوته، واطمأن على النصر، وهذه الحكمة هي التي رد الله بها على اعتراض الكفار في تنجيم القرآن[2] بقوله â 7 ‹ Ÿ2 [3].á W‹ ? p Y ‘ r 8 Š# s è ¾ ? M

---

(١) سورة المجادلة: الآية (٢١).

(٢) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ١٠٨.

(٣) سورة الفرقان: الآية (٣٢).

المبحـــث الثالـث

العظـــــة والعبرة

المبحث الثالث

العظة والعبر

يرشدنا الله في كتابه إلى التأمل في التاريخ، وتتبع عواقب المكذبين الضالين فقد قص القرآن قصص الأنبياء والرسل التي بينت أحوال الأمم السابقة قال سبحانه: â ÏM»wƒÌsÜø9$# ÏM»oYÏB÷sßJø9$# ÏM»tƒÏ‰÷ƒR‰9$# ãNßgs9 ×M»wƒÌsÜø9$# ÓÉL©9$# ¨bÎ) ©!$# ¼çms9 ×M»wƒÌsÜø9$# ÓÉL©9$# ¨bÎ) ©!$# ¼çms9 (١) وكذلك قصص أخرى لغير الأنبياء.

قال تعالى: â ÏM»oYÏB÷sßJø9$# ÏM»tƒÏ‰÷ƒR‰9$# ãNßgs9 ×M»oYÏB÷sßJø9$# ÓÉL©9$# ¨bÎ) ©!$# ¼çms9 (٢) ولم يكن هدفه في ذلك مجرد العرض التاريخي، بل كان يقصد من القصة الموعظة، والعبرة والتحذير من الكفر، والتكذيب والمعصية، والحث على الهداية والإرشاد، وشرح مبادئ الدعوة الإسلامية، والرد على المكذبين برسالة محمد r (٣).

كما يدعونا القرآن إلى التفكر والاعتبار في قصص القرآن؛ لأن للأمثال واستحضار النظائر شأنا عظيما في اهتداء النفوس بها وتقريب الأحوال الخفية إلى النفوس الذاهلة أو المتغافلة؛ لما في التنظير بالقصة المخصوصة من تذكر شاهدة الحالة بالحواس بخلاف التذكير المجرد عن التنظير بالشيء المحسوس(٤).

قال سبحانه: â ÏM»tƒÏ‰÷ƒR‰9$# ãNßgs9 ×M»tƒÏ‰÷ƒR‰9$# ÓÉL©9$# ¨bÎ) ©!$# ¼çms9 (٥).

لا شك أن الوقوف على آثار وأعمال أناس عاشوا على ظهور الأرض، ومر عليهم الزمن، وحكى القرآن أحوالهم، له أثره في النفوس الحية، بل ولم يكتف بتلك الأحوال إنما

---

(١) سورة النساء: الآية (١٦٤).

(٢) سورة يوسف: الآية (١٠٩).

(٣) أنبياء في القرآن تركوا آثاراً ١٩، د. هدى حسن الطويل، دار المعرفة، بيروت، رسالة دكتوراه من كلية الشريعة بجامعة بيروت.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٧٩/٤) .

(٥) سورة الأعراف: الآية (١٧٦).

بالسير في الأرض لننظر بقايا الآثار.

.[١] á ÇÈ ûüÎÉ3ãšc %. #øŸ2 (rêäRSÇÚöF$'Î(rÇ•Å@êâ

.[٢] á ÇÈ ûüÌ•ãb%. #øŸ2 (rêäRSÇÚöF$'Î(rÇ•Å@êâ

#ø. (rêäRSÇÚöF$'Î(rÇ•Åù ä»-Ò9$ïøã M›m ïÆ B NGŸBr ª!$ " ‰d ôB NGŸÜù â

.[٣] á šú üÎÉ3ãšc %.

ÑÍÇãª!$•BŠ ôÛ¨ï7% `Ë è7Éãûï‰Ø$b%. #ø. (rêäY‹ù ÇÚöF$'Î(rÇ•Å„ Ô=ù& * â

.[٤] á ÇÈ $gèVÐ& `ƒ•Ÿ»3ör

فقوم هود — عليه الصلاة والسلام — هم أول الأمم الذين عبدوا الأصنام بعد الطوفان[٥] وبيان ذلك قوله لهم â 'ÎÑäŠ#–r 8yqÇÖq‰Ÿè/ .`Ë ä$ÿ-ä ÑÃ-è_ ðÎ(ÿêà2 ðØr

.[٦] á ØÜ)Á / È¢ÙØ$

فقد كانوا جُفاة كافرين، عُتاةً متمردين في عبادة الأصنام، فدعاهم هود — عليه الصلاة والسلام — إلى عبودية الله، وإخلاص الدين له ورغبهم في طاعته واستغفاره ووعدهم على ذلك خير الدنيا والآخرة وتوعدهم على مخالفة ذلك عقوبة الدنيا والآخرة[٧].

قال الله: â * Ô Ër ïn≠‰ƒ È¤/ .`Ë âää¥9$ÏM=z ß‰r Ås$)ôn(Ÿ ¼çBöq‰ ' <R& ðÎ) Š‰æ %{& ëäÆ$

ôã $Y3ïÚÚÏ $YKØÅ_& (þä‰ ÇÈ ÐŠÀã Ðöƒ >#<ã ßäøæ ß%{& þÎ) ©$žv) (Ÿ‰çè? žv& ¾ïÏÏ:ž

---

(١) سورة الأنعام: الآية (١١).

(٢) سورة النمل: الآية (٦٩).

(٣) سورة النحل: الآية (٣٦).

(٤) سورة محمد: الآية (١٠).

(٥) قصص الأنبياء، لابن كثير ٦٧.

(٦) سورة الأعراف: الآية ٦٩.

(٧) قصص الأنبياء، لابن كثير ٦٩.

.(١)

وهكذا أهلك الله عاداً في الدنيا بالريح الصرصر، وبالصيحة، والريح العقيم .

.(٢)

.(٣)

.(٤)

ثم اتبعوا في هذه الدنيا لعنة، ويوم القيامة كذلك، كما قال ﷺ: "إذا مررتم بأرض قد أهلك الله أهلها فأجدوا السير"(٥) وقال تعالى عن قوم ثمـــود:

---

(١) سورة الأحقاف: الآيات (٢١ – ٢٥).

(٢) سورة فصلت: الآية (١٦).

(٣) سورة المؤمنون: الآية (٤١).

(٤) سورة الذاريات: الآيات (٤١ – ٤٢).

(٥) المعجم الكبير (٢٧٨/٨) رقم (٨٠٦٩).

.[1] á šú ïŸ‰Åÿ¤ÇJ öF{$'Î{ô‰è?ŵr «ł$ä‰w#ä{ÿêà2 ¤$ $?Yqæç‹A$6É¤$bqçÅz?r#YqÝÃè

أغدق الله عليهم بالنعم العظيمة والآلاء الجسيمة فلم يؤدوا حق الله في شكرهم بل تمادوا في غيهم وعنادهم.

š• ŧù ÇÎÈ ûüÈ¤d& ŠGBöq‰r ŠG»ëBŠ $R& ŠÜÌ•3B è7É}ã šc ‰Ÿ2 #ø ëšR$u â

{qæB#ä šú ïŸ‰G$$ZšU&r ÇÎÈ šc qß-ê/ Ço)Ï ¤/Ÿ 7Ï°Œ 'Î žc Î {ß-ß $JÎ ¤/Í‰{ ŠG¤qæç

.[2] á ÇÎÈ šc qà¢G/ {q¤Ÿ2 r

وقوم لوط — عليه السلام — الذين شاع بينهم انقلاب الفطرة السوية من إتيان الذكران من العالمين، وترك ما خلق الله سبحانه لهم من النساء العفيفات.

bq¤Ÿ9 Šaš& ÇÎÈ šc rçÅ¢ê OF&r p±Å»ÿ¤šc q¤Ÿ& ÿïB¤)Ï A$‰ ¤Î $Ûqæ â

w) ÿïB¤‰ >#q_ šc ‰Ÿ2 $Jù * ÇÎÈ šc qèÿ¤B Pq‰ Lê& @/ ä$¡Ï9$ÈrŠ `B ¤Ïq- A‰`Ì9$

žv) ÿ¤ê&r q»Yøf R'ù ÇÎÈ brêGÜGƒ Ó $Ré‰GF) Šaĉƒ‰ `B Pqæ A#ä {ã_Ì-z& {¤‰ b&

.[3] á ÇÎÈ ûïí‹ ZŠ¤êÜB ä$¡ù #ÝÜB NÎÿæ $RÖÜ¤r ÇÎÈ šú ïÎÉó¤`B $g»RÖ‰¼ç?&•¤$

قال ابن كثير — رحمه الله -: "جعل الله أماكن تلك البلاد بحيرة منتنة لا ينتفع بمائها ولا بما حولها من الأرض المتاخمة؛ لفنائها لرداءتها ودناءتها فصارت عبرة ومثلة وعظة وآية على قدرة الله تعالى، وعظمته وعزته في انتقامه ممن خالف أمره وكذب رسله، واتبع هواه، وعصى مولاه، ودليلا على رحمته بعباده المؤمنين في إنجائه إياهم من المهلكات وإخراجه إياهم من الظلمات إلى النور[4].

كما قال تعالى: â ÇÌÈ ûüŸ¤sB Nèÿ¤& b‰. $Br ¤/Ÿ 7Ï°Œ 'Î bÎ

---

(١) سورة الأعراف: الآيات (٧٣ — ٧٤).

(٢) سورة النمل: الآيات (٥١ — ٥٣).

(٣) السورة السابقة: الآيات (٥٤ — ٥٨).

(٤) قصص الأنبياء، لابن كثير ١٣٦.

.[١] á ÇìÈ ãïm$$

ومدين قوم شعيبَ _عليه السلام _ حيث دعاهم إلى عبودية الله وحده لا شريك له، وأمرهم بإيفاء المكيال والميزان، وأن لا يبخسوا الناس أشياءهم، وأن لا يعثوا في الأرض

مفسدين ¼ôÎ Nà6 $B $\(r‰çã$Éô)»ƒ A$% $Ÿèè Ùè{& šú ï‰B 4‹Ír â

Ùè䧋 ¨ $Y9$\(qÝ ,Ø Ùr šc #"•Ü Ø@ø 6 \(qèr'ù Ùà6 ÎS `B pYÉ Nà6 ä$_

.[٢] á ÇÌÈ šú üÏBs OÇà2 bÎ Ùà2Ž Ùà6 Ï‰E $gÅ»-Ã Î ‰è/ ÇÚ ör{$ † Î(r‰Åÿê

Ùà2 ŽÃ3ù W‹‰ OÇà2 ØÎ â وذكرهم شعيب – عليه السلام – بنعمة الله عليهم

.[٣] á ûï‰Åÿ3$pÉã šc %. #ø (rÃR$

(rÇ9ãFÝ$ûï‰$_ JA% â فلم يزدهم هذا التذكير إلا عناداً وسخرية والعياذ بالله

ùr& A$% $Zã='B 'Î bqãG9 ¤& $Yƒö `B 7 èB (qB#ä ûï‰ Ù»øèà»ƒ 7Z_è÷Ã0 ¾ïB‰ `B

.[٤] á ÇÌÈ ûüÏè». $Zä

فأخبرهم شعيب – عليه الصلاة والسلام – أنهم مهما أصروا على عنادهم، ومهما هـــددوه بالطرد والرجم، فلن يتخلى عن وظيفته ووظيفة المرسلين - عليهم السلام - قبلـــه وهـــي الدعوة إلى عبودية الله وحده لا شريك له.

. [٥] á $kÏB ª! $$Z8q R Î ‰è/ Nà6 ='B 'Î $R‰ãè Î $7É. «! $'?ã $Yƒžè $‰ â

---

(١) سورة الشعراء: الآية (٨ – ٩).

(٢) سورة الأعراف: الآية (٨٥).

(٣) سورة الأعراف: الآية (٨٦).

(٤) سورة آل عمران: الآية (٨٨).

(٥) سورة الآعراف: الآية (٨٩).

فأخبر سبحانه عن شدة كفرهم وتمردهم وعتوهم وما هم فيه من الضلال وما جبلت عليه قلوبهم من المخالفة للحق

.[1]

---

(١) سورة الأعراف: الآيات (٩٠، ٩٢).

المبحث الرابع

التهديد والتحذير

المبحث الرابع

التهديد والتحذير

اقتضت حكمة الله تعالى أن لا يعاجل أحد بعقوبة إلا بعد إنذارهم وذلك بإرسال رسول، أو قيام الدعاة للنهضة بهذا الدين وفق ما جاء به الشارع الحكيم ولا يزال الله يمهل الكافرين والظالمين، إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وقد نعى القرآن الكريم على الأقوام الغابرة تكذيبها لأنبيائها وجحودها نعم ربها قال سبحانه: Çï¿½È ‰ƒ‰© Ò¿½ ¼Ç‹{ b) ÞH»ß ' ÉÉr 3 •à¿½‹{ ÆÎ) 7Þ ä{š• ï°‹.r â ...

á ï•ÅÉ¥$>#‹ã $%{ ôJÏ¿½ÆÎ 7ï°Æ 'Îb) [(١).

يقول تعالى: وكما أهلكنا أولئك القرون الظالمة المكذبة لرسلنا، كذلك نفعل بأشباههم"[(٢)] "إن أخذه أليم شديد" وفي الصحيحين عن أبي موسى[(٣)] – t – قال: قال رسول الله r: "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته[(٤)].. ثم قرأ رسول الله r 7Þ ä{š• ï°‹.r â ... á ÞH»ß ' ÉÉr 3 •à¿½‹{ ÆÎ).

ولعلي أقف على بعض نماذج الذين تمادوا في غيهم وضلالهم وكانت العاقبة أن الله أنذرهم فلما لم يرعووا ولم يرتدعوا، وكان الله لهم بالمرصاد.

---

(١) سورة هود: الآيات (١٠٢ – ١٠٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥٩٧/٢) .

(٣) عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري، أسلم قديماً في مكة وعاد إلى بلده اليمن داعياً ولما سمع بهجرة النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ خرج إليه ولكن الرياح أخذته إلى الحبشة مع من معه من المهاجرين، وعاد مع جعفر بن أبي طالب إلى المدينة عام الخيبر، كان من الأجواد الشجعان والولاة، مات سنة ٤٤هـ وقيل ٥٠هـ، وقيل غير ذلك. أنظر الاستيعاب ليوسف بن عبد البر، مكتبة نهضة مصر، (١٠٣/٣) طبقات القراء: (٤٤٢/١)، التاريخ الكبير للبخاري: (٢٢/٥ ـــ ١٧٢) تهذيب الكمال: (٧٢٤/٢).

(٤) صحيح البخاري، باب قوله تعالى: وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمه إن أخذه أليم شديد. (١٧٢٦/٤) رقم (٤٤٠٩) .

١ - **قصة أصحاب الأخدود:** والتي حكى شأنها القرآن فقال: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾[١].

كان أصحاب الأخدود قوماً مؤمنين، وكان يحكم البلاد آنذاك جبار من عبدة الأوثان حيث أرسل لهم بأن يدخلوا في دينه فأبوا ورفضوا ذلك تمام الرفض[٢] فقال الملك: إني قد رأيت كرماً وتفضلاً قبل أن يستحر فيكم القتل، ويعمل فيكم السيف، وينالكم الأذى أن أخيركم بين اليهودية وبين دين تبع من قبلي وبين ما اعتنقتموه من دين جديد"[٣] فلما رأى منهم عصيان أمره ألقاهم في النار واحداً تلو الآخر؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات أي أحرقوا وعذبوا المؤمنين بالنار﴾[٤].

ثم وصف حالهم القبيحة بأنهم قعود على جانب الأخدود شاهدين ما يجري على عباد الله – تعالى – وأوليائه عياناً، ولا تأخذهم بهم رأفة ولا رحمة، ولا يعيبون عليهم سوى إيمانهم بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والأرض، وهذا الوصف يقتضي إكرامهم، وتعظيمهم، فعاملوهم بضد ما يقتضي أن يعاملوا به وهذا شأن أعداء الله دائماً ينقمون على أوليائه ما ينبغي أن يحبوا ويكرموا لأجله كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[٥].

---

(١) سورة البروج: الآيات (٣ – ١٠).

(٢) تفسير ابن جرير (٥٢٥/١٢).

(٣) قصص القرآن، لمحمد جاد المولى ٢٣٩ – ٢٤٠، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٤ – ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٤) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس – رضي الله عنهما – ٦٧٨.

(٥) سورة المائدة: الآية (٥٩).

كذلك أهل الإشراك يتعلمون من الموحدين تجريدهم التوحيد، وإخلاص الدعوة والعبودية لله وحده[١].

ثم هدد الله هؤلاء الذين لم يتوبوا من كفرهم وشركهم، فلهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق الشديد في النار[٢].

٢ - قصة مساكن أهل سبأ: حيث كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم واتساع أرزاقهم وزرعهم وثمارهم، وبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل، تأمرهم أن يأكلوا من رزقه، ويشكروه، بتوحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى، ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال السيل والتفرق في البلاد[٣].

Nâî Éøh `B {qæa A$JC©r &UÜƒ `ã È$GY_ pƒ#ä NûÝ3ó¡B 'Î *7¡Ý b¼. ¶)9 â

NG»Y¶Æ/r Pè¶Ø¶ÝM NÍÖã $ZüM¨ö'ù {qÆÊ•ã'ù ÇïÈ Ò¡qîÎ ;> 'r p¶íÛ ¶$Ê¼ ¼ç9 {rææO¶$

á ÇïÈ @$î¼ 9¶Å `B æÓ«r @¶r Ý¥¬ @æ2 ëõ¼#rÊ È¤FZ_ NÍÖZg2[٤].

قال ابن عاشور: - رحمه الله -:

إن سيل العرم كان محبوسا بالسد في مأرب، فكانوا يرسلون منه بمقدار ما يسقون جناتهم، فلما كفروا بالله بعد الدعوة للتوحيد قدر الله لهم عقابا، بأن قدر أسباب انهدام السد، فاندفع ما فيه من الماء، فكان لهم خطراً وإتلافا للأنعام، والأشجار، ثم أعقبه جفاف باختلاف نظام تساقط الأمطار وانعدام الماء ومن الحاجة إليه، وهذا جزاء على إعراضهم وشركهم[٥].

---

(١) الضوء المنير على التفسير، لابن القيم (٦/٣١٧ – ٣١٨) .

(٢) تنوير المقباس ٦٧٨.

(٣) تفسير ابن كثير (٣/٦٩٥) .

(٤) سورة سبأ: الآيات (١٥ – ١٦).

(٥) التحرير والتنوير (٩/١٦٩) .

٣- **أصحاب الفيل:** الذين قدموا من اليمن يريدون تخريب الكعبة من الحبشة ورئيسهم أبرهة الحبشي الأشرم، الذي حاول جاهداً القيام بفعله الشنيع ودبر الخطط والحيل، ولكن الله رد كيده في نحره، ومن معه من الجنود والفيلة فبعث الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طير ثلاثة أحجار يحملها: حجر في منقاره، وحجران في رجليه، مثل الحِمَّص والعدس، لا يصيب منهم أحد إلا هلك فهشمت رؤوسهم ومزّقت لحومهم، وجعلتهم جثثا هامدة، وأشلاء ممزقة وأصاب أبرهة شيء مما أصاب جنده فأخذه الروع وداخله الفزع فأمر من بقي معه بالعودة إلى اليمن بعد أن فني عدد عظيم من جنده وتشتّت شَمْلُه، وتفرَّق جمْعُه، وقد وهنت قوته ثم لحق بمن مات من جيشه(١).

والنماذج في ذلك كثيرة كحال قوم محمد ﷺ حينما كذبوا بدعوته وتآمروا على قتله وسبوه بالقول والفعل، وطردوه من مكة، وكيف انتهت بهم الحال إلى الخزي في الدنيا وفي الآخرة عذاب شديد.

ولكنني آثرت ترك هذا الحديث في بابه في الباب الثالث أدعى لتشويق القارئ وخوفاً من الإطالة والتكرار.

وخلاصة القول هنا: تبين لي مما سبق أن أسلوب التهديد والتحذير أسلوب من أساليب العبودية، وذلك أن كل من طغى، وتجبر، وعاند وكابر، وانحرف عن طريق العبودية الحقة كان حقاً على الله أن يذله ويهينه á ÐÌ3B `B ¼ç9 $Jù ª! $Çíç `Br â(٢).

---

(١) انظر: تفسير ابن جرير (٦٩٨/١٢) قصص القرآن، لمحمد جاد المولى ٢٤٩.

(٢) سورة الحج، آية ١٨.

المبحث الخامس

"التشويق"

المبحث الخامس

"التشويق"

لا شك أن أي قصة تهفوا النفس لسماعها، وتنجذب لمعرفة دقائق ما فيها من تفاصيل مثيرة وأفكار مشوقة تأنس بها، ولا تغادر صفحات الكتاب حتى تنتهي منها، هذا إذا كانت بالسياق البشري فكيف إذا كانت بأسلوب إلهي؟ أسلوب فاق أسلوب البشر فيجد المرء في أعماق قلبه من الفيض الوجداني ما يحمله على الإقناع بالفرق الذي لا يتناهي بين صفة الخالق وصفة المخلوق، وبين ذات الخالق وذات المخلوق، وبين أسلوب الخالق وأسلوب المخلوق(١)، ويعلم أن هذا هو القصص الحق.

ومن تأمل قصة الكهف وجدها لا تخلو من هذا الأسلوب الذي يوحي التشويق في سياقها وبين فقراتها، فقد ساق القرآن الكريم هذه القصة بأسلوب مشوق، حيث بدأ بالتلخيص الإجمالي في بداية السياق حيث قال سبحانه: Ñ ô3 =» s ð ¾ b M ÅmQ â :

7 ¨ Ï $ Z ? # ä $ Z / ‘ ( ) ù Ñ ô3 ’ <) Ï ‘ r ÇÈ $ g å $ Z » ƒ # ä ô Ï (. É Ï S

Ç È # ‰ ã ú ù Z Ñ ô3 ’ Ï Ï # Ä # ? ã $ Y Ø ù Ç È # © ‘ $ Ï & ô Ï $ Y 9 Ä r Ï Q ‘

.(٢) á Ç È # B & (Ï 9 $ J Ï á Â ô & = Z Ï Ï Z ¥ è /

فتلخص القصة بأروع أسلوب حيث أنهم فتية مؤمنين، رفضوا عبودية غير الله من طاغوت جبار، ولجوء إلى رب الأرباب سائلين رحمته وأن ييسر لهم سبيل الرشد؛ لأنهم يريدون اعتزال قومهم الذين كانوا كفاراً فسألوه سبحانه أن يهيئ لهم طريقا يصيرون به راشدين مهتدين، فهم هنا حققوا عبودية الله - جل وعلا - والتجؤا إلى الله بالابتهال والتضرع ومن ثم حقق لهم مرادهم واستجاب لهم دعاءهم.

---

(١) مباحث في علوم القرآن، لصبحي الصالح: ٢٩.

(٢) سورة الكهف: ٩- ١٢ .

فقارئ قصة أصحاب الكهف يرى على صفحة مخيلته نفس الأمكنة التي دارت فيها حوادثها، وحال الشمس في غروبها وشروقها على الكهف ومنظر الكلب الرابض، ونومتهم تلك النومة الطويلة، ومن ثم استيقاظهم وبحثهم عن الطعام، وبعثهم بالورق إلى المدينة، كل هذه الأمور وغيرها تثير التشويق لدى القارئ، وتصور كل مشهد من مشاهد هذه القصة وتجعله صورة مرئية مجسمة، وكأن القارئ لها يرى تلك الشخصيات أمامه[1]. فعنصر التشويق جعل القارئ لتلك السورة ولهذه القصة خاصة لا يغادر ذلك الكتاب العزيز إلا وقد وقف مع تلك الآيات وقفة تأمل، وتشويق لمعرفة حوادث القصة منذ بدايتها وحتى منتهاها.

فقصة أصحاب الكهف نموذج رائع فذ لشخصيات تعلقت ببارئها وحققت عبودية ربها وذلك؛ لأنه سبحانه ربط على قلوبهم، وثبتهم على الحق رغم وجود الفتن.

النموذج الثاني: قصة أصحاب الفيل الذين لم يعبدوا ربهم، حق عبادته بل جعلوا يتذبذبون ويحتارون، فسلكوا بأنفسهم موارد العطب حتى زاغت قلوبهم، وعميت أبصارهم.

افتتحت السورة بهذه العبارة "ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل" وابتداء القصة بسؤال الاستفهام يثير الإهتمام والتشويق؛ لأن ما حدث لجيش الفيلة عقوبة إلهية لهؤلاء السُذَّج، الذين لم يألوا جهداً في محاولة هدم البيت الحرام، ولا يزال التشويق مستمراً، فماذا حصل لتلك الأفيال الضخمة ؟!

فالقصة ابتدأت بإثارة التشويق مع اقتران هذا التشويق بجيش أبرهة المزود بالفيلة؛ وذلك في بضع كلمات معدودة، ولا تزال لهفة القارئ والسامع لهذه القصة مستمرة لمعرفة ما حصل "ألم يجعل كيدهم في تضليل"، فقد فشلت خطتهم ومؤامراتهم، وبعد ذلك تسرد القصة القرآنية تفاصيل السر والمعجزة الإلهية في ثلاث آيات قصيرة مركزة[2].

قال تعالى: ﴿ﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁﵂﵃﵄﵅﵆﵇﵈﵉﵊﵋﵌﵍﵎﵏ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﴾ .

---

(١) انظر القرآن والقصة الحديثة، لمحمد كامل حسن المحامي: ٣٥ بتصرف مكتبة القرآن، دار البحوث العلمية، لا يوجد تاريخ ولا طبعة.

(٢) انظر: القرآن والقصة الحديثة ٣٢ بتصرف.

بعث الله جماعات متفرقة من الطيور السود جاءت من قِبل البحر أمثال الخطاطيف كل طير منها يجعل ثلاثة أحجار، حجرين في رجليه وحجراً في منقاره، ثم اصطفت على رؤوسهم، ثم صاحت وألقت ما في أرجلها ومناقيرها، فما أصابت أحداً منهم إلا دمرته وأهلكته.

(فجعلهم كعصف مأكول) أي كزرع متين أكلته الدواب فراثته، فيبس وتفرقت أجزاؤه[1].

ثم مجيء قصة قريش بعد قصة أصحاب الفيل من أبرز المنن والنعم التي أنعم الله بها على قريش، حيث أهلك أصحاب الفيل، فصارت قريش تعيش في رغد وهناء، وأمن، وطمأنينة، ومجيء بداية قصة قريش يعد أسلوباً من أساليب القصة القرآنية المشوقة، حيث جاءت بدايتها بقوله: (لإيلاف قريش) ففي الجار والمجرور الذي افتتح به السياق تشويق إلى متعلق هذا المجرور، وزاده الطول تشويقاً إذ فصل بينه وبين متعلقه بالفتح بخمس كلمات فيتعلق (لإيلاف) بقوله (فليعبدوا) وتقديم الجار والمجرور هنا؛ لأجل الاهتمام به إذ هو من أسباب أمرهم بتحقيق عبودية الله التي أعرضوا عنها بعبادة الأصنام[2].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم(٤/٧١٥، ٧١٦) تفسير البغوي (٤/٥٢٩) .

(٢) ا نظر: التحرير والتنوير (١٢/٥٥٤) .

المبحث السادس

السخرية والاستهزاء

المبحث السادس

السخرية والاستهزاء

السخرية والاستهزاء أسلوب من أساليب القرآن في الدعوة إلى العبودية؛ وذلك حينما يرد الدليل القرآني على سبيل الامتهان والاحتقار للمعبودات أو لعابديها، وذلك لتقرر لدى المتدبر أن المستحق للألوهية والعبودية الحقة هو الله تبارك وتعالى.

ويمكن أن أقسم السخرية والاستهزاء إلى قسمين:

القسم الأول:

استهزاء وسخرية أهل الباطل بأهل الحق، وهذا الاستهزاء لا عبرة به؛ لأن صاحب الضلال والتيه وإن استهزأ بمن هو على علم و دراية لابد وأن يبطل الله كيده ويعلو الحق ويظهر.

وذلك كسخرية قوم نوح - عليه السلام — منه حينما قالوا 4<Î ‰nqÇ$ZtÙ™Ö& ß)9 â

ÐŠÀã Ðöƒ >#‹ã Ñâæ Ñ$‰{& þÛ ÿÇöî ⇑9Î ôÐ Nâ9 $B ©$(r‰ç$Éö)»ƒ A$)ù ¾ÏÐö%

Ó_Ð»9r ×#»=Ê 'Î §ø Éö)»ƒ A$% ÇÏÈ &ÛÞ ©»=Ê 'Î 7Ž\9 $RÎ ÿÏÐö% `Ð _ J¢A$% ÇÎÈ

ÿ $B ‹ $Š Æ Ð =æ&r â9 Ñ Á R&r 'Ñ Ï M»=»™Í Ñâäk ÉÇÏÈ šú üÏ»è¢É§ `Ð Aqß'

â=è9r (qà¿Ï r Ñä'ÉZäÎ âZÐ ©ã ‘ 4?ã âß Š `Ð ÖÉ âäà! ` b& ÖÇÉ ãr& ÇÏÈ bqß=è?

Ñäî $Y‰ƒ$«Î (qçÒ Ÿ2 ûïÏ%©$Y‰ø ø&r Å ¢ø’Î ¼çÐB ûïÏ%©$r ÇÞø R'ù qçÒ 3ù ÇÏÈ bqçqè

.[1] á ÇÏÍÈ šú üÏÙ ã $Bö% (qÇ$Ÿ2

كما وصفوه بالبشرية في كونه نبيا، وهذا على سبيل الاحتقار له حيث لم يتبعه إلا الضعفاء من الناس.

$Br Ä ©$“ Š$/ $Yø Ë#‘& Ñè šú ï‰©$vî š• è7?$š• 1•R $Br $Y=Ÿ Ð #Ï ±0 žvî š• 1•R $B â

---

(١) سورة الأعراف: الآيات (٥٩ — ٦٤).

.[١] á šú üÎÉ». ¼ä¥ÝR @/ @ÕÙ `B $ZØãä¼ä9 3• R

ولسخرية قوم موسى – عليه السلام – من رسولهم ووصفهم له بالجنون على سبيل الامتهان له .[٢] سماه رسولا بطريق á ÇÏÈ ÞqãÎ J9 ÔäÖÎ @Åöéü ¼ÇÞä9qÎ' bÎ A$% â

الاستهزاء، وأضافه الى مخاطبيه ترفعا من أن يكون مرسلا إلى نفسه، وأكد ذلك بالوصف وفيه إثارة لغضبهم، واستدعاء لإنكارهم رسالته بعد سماع الخبر، ترفعاً بأنفسهم عن أن يكونوا أهلاً لأن يرسل إليهم مجنون[٣].

كذلك حينما حطم إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – الأصنام وترك كبيرها؛ لكي يدحض حجة خصومه قالوا له على سبيل التهكم والسخرية: $YÏgÏ$«Î #‹»d @èù `B (qÈ% â

¾ÏÎ (qêù (qÈ% ÇÏÈ ãÏ•Î ÝÈ ÃÑ) ÑÑèãõƒ ÓÌù $YèÜ™ (qÈ% ÇÎÏÈ šú üÏÎ»Ò9$`Ï9 ¼çÎ

A$% ÇÏÈ Ð$Ï•Î»ƒ $ZÏÎ|$«Î #‹»d Mèù MR&ä (qÈ% ÇÏÈ šc rß§gâ„ ÑÑ=è9 Ä $Z9$ÈÈõ&#?ã

.[٤] á ÇÏÎÈ šc qàÜZƒ (qÇ$Ÿ2 bÎ ÑèqèóÙ #‹»d ÑèÇÎŸ2 ¼ãèù @/

فكونهم يصفونه بالظلم والفتوه على سبيل التنقيص لحاله، وأنه هو الذي قام بهذا الأمر يدل على سفاهة قولهم وسخف عقولهم.

القسم الآخر: وهو المعني هاهنا: سخرية أهل الحق من ضلال أهل الباطل وخذلانهم.

وقد حكى القرآن أحوال أهل الضلال والباطل، وضعفهم تجاه الحق وأهله، سواء كان ذلك على ألسنة الرسل، أو الصالحين من عباد الله، فتبين إذن أن سخرية أهل الباطل بأهل الحق سخرية لا عبرة بها ومن ثم فسيؤول الأمر إلى امتهانهم واحتقارهم، هم ومعبوداتهم وذلك؛ لأن "توحيد العبودية" هو: إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة بمعنى أن يعبد الله سبحانه

---

(١) سورة هود: الآية (٢٧).

(٢) سورة الشعراء: الآية (٢٧).

(٣) روح المعاني، للألوسي (١٠/٤٤٥) .

(٤) سورة الأنبياء: الآيات (٥٩ – ٦٣).

وتعالى وحده ولا يشرك معه في عبادته أحد من خلقه؛ لأنه وحده المستحق لأن يعبد، وهو مبني على إخلاص العمل كله، والتوجه به لله سبحانه وتعالى وحده دون سواه"[١].

وأهل الباطل صرفوا العبودية لغير المستحق لها.

فقوم نوح – عليه الصلاة والسلام – سخروا منه حينما وصفوه بالضلالة والبشرية في كونه نبياً وأنه لم يتبعه إلا الضعفاء من الناس وسخريتهم منه كذلك حينما صنع السفينة.

قال الله في كتابه: bÎ A$% ¤ZÄB ¢rä, ™ ¾ÏÄBö% `Ä d B ïøã ¤B $J=à2 r š• ¤ÿ¤¤ßZÁƒr â: ïƒÏ¢à Ò#‹ ã ï‹ÎÛ `B šc qß=è? $ö¡ ù ÇÌÈ brã, ó¡ $J. ¤ÑZÄB ã, ó¡R $R¢ù $ZÄB ¢rã, ó¡? á ÇÌÈ ÐŠÉB ÑU #‹ ã ïøã @ï†r[٢].

إن تسخروا منا لهذا العمل – وهو صنع السفينة – ومباشرة أسباب الخلاص من العذاب لما أنتم فيه من الإعراض عن استدفاعه بالإيمان والطاعة، ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي والتعرض لأسباب حلول سخط الله تعالى التي من جملتها سخريتكم منا واستهزاؤكم بنا[٣].

إذن فعاقبة السخرية والاستهزاء العذاب في الدنيا بالغرق، وفي الآخرة بالنار[٤].

فتأمل التفاوت بين السخريتين؛ لأن السخرية المعللة أحق من الأخرى، فالكفار سخروا من نوح _عليه السلام_ لعمل يجهلون غايته ونوح عليه السلام وأتباعه سخروا من الكفار؛ لعلمهم بأنهم جاهلون في غرور، كما دل عليه قوله (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) فهو تفريع على جملة á ¤ÑZÄB ã, ó¡R $R¢ù â أي سيظهر من هو الأحق أن يسخر منه وفي إسناد (العلم) إلى ضمير المخاطبين دون الضمير المشارك بأن يقال: فسوف نعلم إيماء إلى أن المخاطبين هم الأحق بعلم ذلك، وهذا يفيد أدبا شريفا، بأن الواثق على

---

(١) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، د. عثمان جمعة ضميريّة ٢٣٣.

(٢) سورة هود: الآيات (٣٨ – ٣٩).

(٣) روح المعاني للألوسي (٧٠/٧) .

(٤) انظر: تفسير النسفي ٤٩٦ – ٤٩٧.

الحق لا يزعزع ثقته مقابلة السفهاء أعماله النافعة بالسخرية، وأن عليه وعلى أتباعه أن يسخروا من الساخرين[١].

إذن هذه حال من يسخر من الحق وأهله، فأكد القرآن لهم أن عاقبتهم في موقف السخرية والعذاب، هي عاقبتهم في موقف السخرية بالرسالة سيصيبهم خزي العذاب كما أصابهم خزي الحجة والبرهان، وإن من العذاب ما يرفع صاحبه إلى الهامات، وهو عذاب الرسل والمجاهدين في سبيل الحق يصيبهم على أيدي الطغاة الظالمين، وهو عذاب مستعذب مشرف لصاحبه، يعقبه نعيم مقيم.

ومن العذاب، ما يترل بصاحبه إلى أحط الدرجات،ويكون مثلاً يشفي صدور المؤمنين، ويزعزع كيان المبطلين، وهو عذاب الإعراض عن الحق والكيد لأهله، وهو عذاب الخزي الذي يعقبه عذاب دائم أليم[٢].

á ÇÌÈ ÐŠÉÐ ÑU #‹ã ïøã @ïtr ïñf†ïa È#‹ã ï‹?Ù `B šc qß=è? $ö¡ùâ[٣].

ولم تكن السخرية محصورة في نبي الله نوح – عليه السلام – إنما كان هذا ديدن الكافرين المتكبرين، الذين بلغ بهم العناد والإعراض عن الحق غايته مع سائر الأنبياء والرسل والصالحين من عباد الله إلى هذا اليوم.

ولا أرغب الاستئثار بذكر نماذج للأنبياء مع أقوامهم في هذا الفصل لأنه سيأتي باب آخر في هذا الشأن.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٦٩/٥) .

(٢) إلى القرآن الكريم، لمحمود شلتوت، دار الشروق ٧٦ – ٧٧، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٣) سورة هود: الآية (٣٩).

المبحـــث الســـابـع

"رد شبـهـات المبطلين"

المبحث السابع

"رد شبهات المبطلين"

من أبرز ما امتاز به القرآن الكريم مجادلة المبطلين، ودفع شبه الظالمين، وإقامة البراهين العقلية، الموافقة للأدلة النقلية ذلك بأن القرآن هو الحق، فإذا شرع في الحجاج للمبطلين، وتزييف شبه المشبهين، وبطلان مذاهب الضالين[١] فنجده يسلك سبيل إحقاق الحق، وإبطال الباطل بأسلوب سهل وواضح، وبعبارة تسوق القلوب الحية إلى الإذعان والتصديق، قال سبحانه: [٢] فكل ما يدعون من دونه تبارك وتعالى باطل لا مرية فيه.

فقد رد القرآن شبهات أهل الكتاب، وأبطل كيدهم للإسلام والمسلمين فقد كان المسلمون يعيشون في المدينة، ويخالطهم اليهود، وهم أهل كيد ومكر، وخبث، وحقد على الإسلام والمسلمين، وبذلوا كل ما يستطيعون لبث الفرقة بين المسلمين وبث الشبهات والشكوك في عقائد الإسلام[٣].

.[٤]

.[٥].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٣٧، ٣٨.

(٢) سورة يونس: الآية (٣٢).

(٣) دراسات في علوم القرآن، أ. د. فهد الرومي، ٢٤٠.

(٤) سورة آل عمران: الآية (٩٩).

(٥) آل عمران: الآية (١٠٠).

وقال في شأن طائفة أخرى:

mô r ¢qZB#ä šú ï‰G$'?ã A‰Ré‹ï ‰G$ ¢qZB#ä É»GÅ%$Ê@ed& ôÏB pyÍ‾$ÎO M9$%r â

.[1] á ÇÚÈ bqãÅ_ø‾ ÏNG=è9 ¼ç•Å#ä ¢yêÊuø$r Í$gY9$

وقال عن شأنهم في محبتهم في إضلال غيرهم من المـــؤمنين: ê@ed& ôÏB pyÍ‾$ÎO NŠr â

.[2] á ÇÚÈ šc r ê@Ê„ $Br ÏNG¡ ÿR& wÎ) šc q•Åã$Br ê@Rq•Åã‾9 É»GÅ%$

`ÏB Ÿ@z ôÏB Nà6 øæ A"\ãb& ûüÏÎG‾ÊÏ@ÊVr É»GÅ%$Ê@ed& ôÏB ¢rãy. šú ï‰G$Šq/ $B â

.[3] á ÏNà6 îs

وقد أورد الله في كتابه كثيراً من الشبه، وردَّ عليها ردّاً مقنعاً، ظهر من خلاله بلاغة القرآن وإعجازه: كقصة إبراهيم – عليه السلام – مع النمرود، وجدال فرعون مع موســـى – عليه الصلاة والسلام –، وشبه النصارى في شأن عيسى – عليه الـــصلاة والـــسلام – وغيرها .

ولعلي أقف على شبه النصارى في أمر عيسى - عليه السلام – في مواضع متنـــاثرة من الآيات "متضمنة رداً قاطعاً مقنعاً على شبهات المبطلين من النصارى"[4].

فقد كانت قضية ولادة عيسى - عليه الصلاة والسلام - من غير أب مـــن أبـــرز ضلالات النصارى في هذا الشأن، فنعى عليهم القرآن تلك الضلالات فكيف تتعجبون مـــن خلق عيسى – عليه السلام – وخلق آدم – عليه السلام – أعجب؟!.

قال سبحانه: ¼ç9 A$% Œê5> #•ê `Ï ¼ç)=z PŠ#ä Ê@VJ. «! $‰Zã 4¤Šã Ÿ@VB žc Î â

.[5] á ÇÎÈ ãqã‹ù `ä

---

(١) سورة آل عمران: الآية (٧٢).

(٢) سورة آل عمران: (٦٩).

(٣) سورة البقرة: الآية (١٠٥).

(٤) انظر: الجانب الفني من القصص القرآني ٦٢.

(٥) سورة آل عمران: الآية (٥٩).

فالذي خلق آدم من غير أب ولا أم قادر على أن يخلق عيسى – عليه الســلام - بطريــق الأولى والأحرى، وإن جاز ادعاء النبوة في عيسى – عليه السلام - لكونه مخلوقاً من غــير أب، فجواز ذلك في آدم بالطريق الأولى ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل فدعواه في عيسى – عليه السلام – أشد بطلاناً وأظهر فساداً"[١] وقد جاءت آيات القرآن ببيان براءة وطهــارة مريم - عليها السلام - .

ä$ ¡Î 4?ã Å 9ÿÜð $ B•gÛr Å 9ÿÜð $©$bÎ fJ» è 6 Í=J$M9% r â

.[٢]á ÇÎÈ šú üÏ°$$ì B ÓÉ. $ “ ‰Ó$ Å Ó$ fJ» ÇÍÈ šú üÏ=»è$

الإشارة إلى الطهر هنا إشارة ذات مغزى؛ وذلك لما خالط مولــد عيــسى _عليــه السلام_ من شبهات ضالة في شأن أمه مريم _عليها السلام_

حينما ظهر أمامها ملك من السماء[٣]، وقد تمثل لها بشراً سوياً قائلاً لها: $JÎ A% â :

9r Ó¡ ðƒ 9r Ö=â ’í ãqà ƒ 4 M9% Ç È $ Å2 – $ »ã Å 9 = dÏ Å Ï ãqÏ ‘ $

šc %.r $ B ÏÏ ‘r Ä $ Z= ÏÏ #ä è Ï r Ï d ¥?ã qè Å ‘ A% Å Ï ‹ . A% Ç È $ é/ ã

.[٤]á Ç È $ Ô ÏB #

وقال في آل عمران: â

.[٥]á ãqà‹ù `ä

فصرَّح هاهنا بقوله "يخلق ما يشاء" ولم يقل يفعل كما في قصة زكريا بل نصَّ ههنا على أنه يخلق، لئلا يبقى لمبطل شبهة، وأكد ذلك بقوله: â `ä ãqà ƒ $JÎ ù # Ó% Î â

.[٦]á ãqà‹ù

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٨٠) .

(٢) سورة آل عمران: الآيات (٤٢ – ٤٣).

(٣) انظر: قصص القرآن، لمحمد جاد المولى (٢١٢، ٢١٣) .

(٤) سورة مريم: الآيات (١٩ – ٢١).

(٥) سورة آل عمران: الآية (٤٧).

(٦) تفسير القرآن العظيم (١/٤٧٥).

ولذا كانت أول كلمة نطق بها عيسى – عليه السلام – في مهده، تنزيهه لربه وذكر عبوديته لله تعالى.

.[1]á ÇÌÈ $ŠÎR ÓÍ-è_r =»GÅ@$ÓÍ9?#ä «‹ $Ÿ‰ãã 'ô A$% â

وذكر عبوديته لله تعالى أولا؛ لأن الاعتراف بذلك على ما قيل أول مقامات السالكين، وفيه رد على من يزعم ربوبيته، وفي جميع ما قال تنبيه على براءة أمه، لدلالته على الاصطفاء، والله سبحانه أجل من أن يصطفي ولد الزنا؛ وذلك من المسلمات عندهم وفيه من إجلال أمه – عليهما السلام – ما ليس في التصريح وقيل:؛ لأنه تعالى لا يخص بولد موصوف بما ذكر إلا مبرأة ومصطفاة[2].

ومما احتج به النصارى على ألوهية عيسى – عليه الصلاة والسلام – ما حباه الله جل وعلا له من المعجزات الخارقة التي ليست في مقدور البشر الإتيان بمثلها؛ ولذا فقد سيقت تلك الآيات مبطلة تلك الشبه مبينة مع كل تلك المعجزات أنها بقدرة الله وبإذنه قال تعالى:

ÈÜÏ9$ŠÆ Ï Nà6 9 ßèz& þô Nà6 îs`Ï 7f$«î NaçÅ_ ’ô Ï7fÏÅŽóî Ó Í/ 4<îwqÏ‘r â

4ÄöK$ÉÓ ŠÝ •ÐF$r mJò2 F{$Û` ÌÐ «‹ $ÈÈÐÎ #ÌÛ aqà‹ù ï‹ï ãÌR'ù ÎÏÖ9$Ïp«g.

OÇZäbî Nà6 Ï7fÏ 7Ï9Æ ’îbî Nà6 ïqãç’îbrÉÅ‰? $Br bqèÛ? $JÎ Naèr «‹ $ÈÈÐÎ

.[3]á ÇÍÈ šú üÏÏ%sB

هذه هي حقيقة عيسى – عليه الصلاة والسلام – وقد نفى القرآن تلك الشبه وأبطلها.

قال سبحانه: ⊣ b‰. $B ÇÌÍÈ brçÐƒ ïŠÚ “ Ï‰ÉÈs$Š^ Ø‰ Nƒ¨B ÓÉ¤ŠÄa 7Ï9Æ â

.[4]á ÇÌÎÈ aqà‹ù `ä¼ç9 Aqàƒ $JÎù #•B‰ ÉÓ‰ #ÆÎ ¥ç¥»s7Ï $!r `Ï ‹Ï, Gƒ b&

---

(١) سورة مريم: الآية (٣٠).

(٢) روح المعاني للألوسي (١٢٢/٩) الدار التوقيفية.

(٣) سورة آل عمران: الآية (٤٩).

(٤) سورة مريم: الآيات (٣٤ – ٣٥).

"أبرز معالم وأهداف القصة القرآنية"

أخبر الله سبحانه أن القصص القرآني أحسن القصص على الإطلاق فقال: ßtW â `Ü9 ¾ï#Ö `B MYà2 bÎr b#äèÞ#‹»d 7 øÎ) $Zøm÷& $JÎ ÆÉ Á) `¡ô& 7 øãÈ à R á ÇÌÈ šú üÏÿ»ó .[1]

قال ابن عاشور: - رحمه الله - "وجعل هذا القصص أحسن القصص؛ لأن بعض القصص لا يخلو عن حسن ترتاح له النفوس وقصص القرآن أحسن من قصص غيره، من جهة حسن نظمه، وإعجاز أسلوبه، وبما يتضمنه من العبر والحكم، فكل قصص في القرآن هو أحسن القصص في بابه، وكل قصة في القرآن هي أحسن من كل ما يقصه القاص في غير القرآن، وليس المراد أحسن قصص القرآن حتى تكون قصة يوسف – عليه السلام – أحسن من بقية قصص القرآن كما دل عليه قوله (بما أوحينا إليك هذا القرآن) والباء في (بما أوحينا إليك) للسببية متعلقة بـ(نقص) فإن القصص الوارد في القرآن كان أحسن؛ لأنه وارد من العليم الحكيم، فهو يوحي ما يعلم أنه أحسن نفعا للسامعين في أبدع الألفاظ والتراكيب فيحصل منه غذاء العقل والروح وابتهاج النفس والذوق مما لا تأتي بمثله عقول البشر"[2].

إذن أبرز أهداف القصة القرآنية وأهمها وأولاها بالذكر:

١- أنها سيقت للعباد بهذا الأسلوب البديع الرائع المشوق؛ لتحقيق عبودية الله تبارك وتعالى.

وأن الرسل جميعا قد أرسلهم الله تعالى برسالة واحدة في أصولها، ألا وهي إخلاص العبادة لله الواحد القهار، وأداء التكاليف التي كلف الله تعالى بها خلقه وقد وردت آيات كثيرة تدل على أن أول كلمة قالها كل رسول لقومه هي: أمرهم بعبادة الله تعالى ونهيهم عن عبادة أحد سواه[3]، فهذا نبي الله نوح – عليه السلام - يقول لقومه –

---

(١) سورة يوسف: الآية (٣).

(٢) التحرير والتنوير (٥/٢٠٣ – ٢٠٤) .

(٣) الشخصية النسائية في القصة القرآنية، ١٢٣، ١٢٤، دار غار حراء، طباعة ونشر ط الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

كما حكى القرآن عنه -: â »ƒ (Èq$Éö$çã%r($ ©$B 9a Nä3 ô`B]9» Î öçöyî á [1] وكــذلك

هود – عليه السلام – قال لقومــه: â »ƒ (Èq$Éö$çã%r($ ©$B 9a/ ô`B]9» Î öçöyî á [2]

وكذلك صالح – عليه السلام – قـال لقومــه:

â »ƒ (Èq$Éö$çã%r($ ©$B 9 6à N ô`B]9» Î öçöyî ¼á [3].

٢- أن هذا القرآن من عند الله تعالى، وأن ما اشتمل عليه هذا القرآن من قصص للسابقين لا علم للرسول r ، وإنما علمه بعد أن أوحاه الله تعالى إليه، وأنه صادق فيما يبلغه عن ربه[4]، ففيه إثبات الوحي والرســالة â ü• š ô`B ä!$7R& ä$Ø ó=ÉøóÏ9$ qÏmqçR $k]9 Ï) ø7 $B äZM

?è-ßg$ &RM rŸ ÿ` ä%Bq 7 ` B ©`@ d«» ‹# ù$ ©Ë$bÎ) è»É6p ÿö$ ÉF0 ü ú šÈÌ É Ç á [5].

٣- أن القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ، وبالتالي فالقصص القرآني – وهو جزء منــه – لا يهدف إلى التاريخ[6] إنما يهدف إلى مواطن العظة والعبرة[7].

٤- أتخذ الأسلوب القصصي في القرآن: أسلوب الإنذار، والتبشير، أو الوعــد والوعيــد وللقرآن في ذلك طريقان:

أحدهما: الوعد والوعيد عن طريق الحياة الدنيا، يعد المؤمنين الصالحين بعموم الــسلطان والتمكين في الأرض، وينذر الجاحدين المفسدين بتقلص العز وانتزاع الملك وتــسليط

---

(١) سورة الأعراف: الآية (٥٩).

(٢) سورة الأعراف: الآية (٦٥).

(٣) سورة الأعراف: الآية (٧٣).

(٤) الشخصية النسائية في القصة القرآنية ١٢٥. وانظر: القصص القرآني عماد زهير حافظ، دار العلم ١٥، ط١ الأولى ١٤١٠هــ - ١٩٩٠م.

(٥) سورة هود: الآية (٤٩).

(٦) قضايا التكرار في القصص القرآني، د. القصبي محمود زلط، دار الأنصار "ب" ط الأولى ١٣٩٨م – ١٩٧٨م.

(٧) انظر: دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني في المقدمة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط الأولى ١٤٠٦هــ - ١٩٨٦م، وانظر الأمثال العربية دراسة تحليلية تاريخية د. عبد المجيد قطامش صــفحة: ١٤ دار الفكــر، دمــشق ط الأولى ١٤٠٨هــ .

الأعداء.

وثانيهما: الترغيب بنعيم الآخرة الدائم الذي لا ينقطع، الصافي الذي لا يشوبه كدر والترهيب من الكفر، والإفساد في الأرض، والطغيان على عباد الله بعذابها الدائم المهين[1].

٥- تتفق القصة القرآنية مع أهداف القرآن التربوية الكبرى، الذي جاء هداية للناس وبياناً وتفصيلاً لكل شيء، وتنبيهاً للإنسان من الغفلة والرقود، والتحذير من أخطار الحياة وتصويب مناهج الآداب والسلوك، وإيقاظ مشاعر الود والحب، والخير، وتصحيح العقيدة وغرس بذور الإيمان بالله ربا وإلهاً واحداً لا شريك له، وإبعاد الإنسان في حياته كلها من البلوغ إلى الشيخوخة عن مهاوي الانحراف والسقوط، والتغلب على عوامل اليأس والقنوط، والدفع إلى الحياة الإيجابية، بهمة لا تعرف الكلل، وعزيمة لا مجال فيها للملل والكسل وعطاء لا يفتر وتجديد وإنتاج مستمر لا ينقطع[2].

٦- القصة القرآنية تعطينا الملامح الواضحة على أن الإنسان إذا شملته الرعاية الإلهية فلا يمكن أن تهزه كارثة، أو تحطمه نكبة من النكبات إذ أن قدرة الله سبحانه فوق كل قدرة وسلطان الله سبحانه تتضاءل أمامه كل الحيل البشرية، والمكر السيئ؛ وذلك مما يلوح لنا كثيراً عند عرض كثير من القصص القرآنية ولا شك أن المرء إذا أيقن أن الأمور تجري بيد الله وأن ما يصيب الإنسان هو بقضاء الله وقدره فذاك أدعى إلى ثباته وقوة إيمانه كما حفظ الله موسى – عليه السلام – من يد فرعون وهو طفل صغير كذلك حفظ الله ليوسف – عليه السلام – حينما ألقي في البئر، وزج به في السجن واتهم بما اتهم به[3] وكانت نهايته طيبة والحمد لله.

---

(١) إلى القرآن الكريم، محمود شلتوت، ٧ – ٨.

(٢) القصة القرآنية هداية وبيان، تأليف الأستاذ الدكتور: وهبة الزحيلي، دار الخير، ص١٥ ط الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(٣) الجانب الفني في قصص القرآن الكريم، رسالة ماجستير لدكتور عمر محمد عمر باحاذق، ١٥٧ – ١٥٨، دار المأمون للتراث، ط الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٧- أن في القصة القرآنية تثبيتاً لقلب النبي r ؛ لأنه ليس وحده على طريق الدعوة والرسالة وإنما سبقه على هذه الطريقة إخوة أنبياء كرام – عليه وعليهم الصلاة والسلام – وهو يواجه كما واجهوا، أو يسمع كما سمعوا، ويؤذى كما أوذوا فعليه أن يصبر كما صبروا؛ لينتصر كما انتصروا، وفيه مع تثبيته إظهار صدق محمد r في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضيين عبر القرون والأجيال[١]، وفيه تثبيت لأفئدة أصحاب رسول الله r على الحق، وزيادة يقينهم وطمأنينتهم، وزيادة دعوته وتبليغهم، وزيادة مواجهتهم وتحدّيهم وجهادهم لأعدائهم[٢].

٨- إن للقصص القرآني أهمية كبرى في توجيه الدعوة الإسلامية، إذ أن واقعية القرآن وجدّيته تجعلان توجيهاته وتقريراته تعين الدعوة الإسلامية على إصدار مواقف صحيحة ومدروسة تجاه ما تلاقيه[٣].

٩- يهدف القصص القرآني تصديق الأنبياء والمرسلين، وإحياء ذكراهم وتخليد آثارهم[٤] والإشارة إلى فضلهم ومكانتهم الرفيعة عند الله عز وجل.

١٠- مقارعة أهل الكتاب بالحجة، فيما كتموه من البينات، والهدى وتحديه لهم بكل ما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل[٥]. كقوله تعالى: yxïm b$Ÿ2 Ò$èÒ9$@ä * â

fqêÙ Ò è ë1‘öÒ9$A”\êb& è6 `Ï ¾ïÅÿR 4?ã @ƒäÁžó Î P$m $B ŸwÎ Ò ƒäÁžó Î Ó6Ï

á ÇÌÈ šú üÏ‰» ¹ ÒÇäb Î $dqè$ë ë1‘öÒ9$Ÿ[٦].

١١- القصة القرآنية طريق من طرق الحياة المستقيمة، فهي منهاج الدعوة يتجلى فيها

---

(١) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، ٣٠٧.

(٢) القصص القرآني، عرض وقائع وتحليل أحداث، د. صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق (٣٦/١) ط الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٣) القصص القرآني، عماد زهير حافظ، ١٤.

(٤) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، ٣٠٧.

(٥) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٦) سورة آل عمران: الآية (٩٣).

الحكمة، والموعظة الحسنة، فأسلوبها يمتاز بالمحاورة الهادئة، والأسلوب المقنع وهي بذلك تعودنا على المحاورة الجادّة وأساليب الإقناع التي يجب أن يلتزمها الداعية، فجميع الرسل لا تأمر وتنهى بأسلوب عنيف، وبعبارة غير مدللة، وإنما تلتزم الأسلوب المنطقي، والأدلة المكشوفة والمقدمات الموصلة إلى النتائج، ومن ثم يكون لكلامهم الاستجابة والقبول [1].

١٢- في القصة القرآنية من الفوائد الفقهية، والأحكام الشرعية، والأسرار الحِكَميّة شيء عظيم لا غنى لكل طالب علم عنها[2].

١٣- القصة من أبرز الأساليب القرآنية في الدعوة إلى الله، ومعالجة المشكلات فهي أسلوب أخّاذ، يستحوذ على القلوب، ويسيطر على النفوس، ويهيئ العقول لحسن التلقي فتذعن له في يقين وتسليم بالنتائج في رضا وثقة[3].

---

(١) الجانب الفني في القصص القرآني، ١٦٢.

(٢) تيسير المنان في قصص القرآن، أحمد فريد، دار ابن الجوزي، السعودية، ط الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، ص١٧.

(٣) انظر نظرات في أحسن القصص (٨/١) د. محمد السيد الوكيل، ط الأولى، دار القلم بسوريا، ١٤١٥هـ .

الفصـــل الـرابـــع

"ضـــرب الأمثـــال"

المبحث الأول: التسلية.

المبحث الثاني: التشويق.

المبحث الثالث: السخرية والاستهزاء.

المبحث الرابع: الاتعاظ والاعتبار.

المبحث الخامس: المدح.

المبحث السادس: الذم.

المبحث السابع: رد الشبهات.

تمهيـــــد:

المراد بضرب الأمثال:

الضرب: إيقاع شيء على شيء، ولتصور اختلاف الضرب خولف بين تفاسـيرها: كضرب الشيء باليد، والعصا، والسيف، ونحوها، وضرب الأرض بالمطر، وضرب الدراهم..

والضرب في الأرض: الذهاب فيها هو ضربها بالأرجل،... وضرب الفحـل الناقـة تشبيهاً بالضرب بالمطرقة: كقولك طرقها تشبيهاً بالطرق بالمطرقة، وضرب الخيمة بـضرب أوتارها بالمطرقة، وضرب اللبن بعضه على بعض بالخلط، وضرب المثل هـو مـن ضـرب الدراهم وهو ذكر الشيء أثره يظهر في غيره(١).

وقد اختير لفظ (الضرب) مع المثل؛ لأنه لا يأتي إلا عند إرادة التأثير، وهياج الانفعال وكأن ضارب المثل يريد أن يقرع به أذن السامع قرعاً بحيث ينفذ أثره إلى قلبه، وينتـهي إلى أعماق نفسه، وهكذا فإن القول أو الكلام الصائب الصادر عن تجربة إذا ما كثر اسـتعماله وشاع أداؤه في المناسبات المختلفة، يصير مثلاً(٢).

أما الأمثال: فقد تعددّت معانيها لكثرتها، والأصول التي أخذت منها تلك المعاني وما تصرف من مادة (مثل) من المصادر(٣).

ومن معاني المثل ما يلي:-

١- المثل هو القول السائر وهو: الذي يشبه مضربه بمورده(٤) وهو المعنى المتبادر الذي يبقى إليه الذهن عند إطلاقه كلمة الأمثال(٥) كقولـه سـبحانه: ŸwÎ) Ç»¡ômY$â‘_ @dâ

---

(١) المفردات في غريب القرآن ٢٩٤، ٢٩٥، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط الأولى، بدون تـاريخ انظر: لسان العرب (١/٥٤٥، ٥٤٦) .

(٢) الأمثال والمثل والتمثيل والمثلان في القرآن الكريم، لسميح عاطف الزين، ص٩، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(٣) الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، د. عبد الله الجربوع ١/٤١، الجامعة الإسلامية بالمدينـة، عمـادة البحث العلمي، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٤) المراد بالمضرب الحالة المشبهة التي أريدت من الكلام والمراد بالمورد الحالة الأصلية التي ورد فيهـا الكـلام. انظـر الأمثال العربية دراسة تحليلية تاريخية ١٤ د.عبد المجيد قطامش، دار الفكر دمشق ط الأولى ١٤٠٨هـ .

(٥) الأمثال في القرآن، لابن القيم ص١٩، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

.[1]á ÇïÈ ß» ¡ ô nMS

٢- يطلق لفظ مثل "بمعنى وصف الشيء[2]" كقوله سبحانه: â WBQ@ fY pSÉÓãaï‰ .[3]á bqàÆG3Q@

الأمثال: جمع مثل، والمثل والمِثل والمثيل: كالشبه والشبه والشبيه لفظا ومعنى.

والمثل في الأدب: قول محكي سائر يقصد به تشبيه حال الذي حكى فيه بحال الذي قيل لأجله، أي يشبه مضربه بمورده.

ويطلق المثل على الحال والقصة العجيبة الشأن. وبهذا المعنى فسر لفظ المثل في كثير من الآيات كقوله تعالى: â WBQ@ gY pSÉÓãaï‰ bqàÆG3Q@ ¤ kŽÙ ¤ $ ¤ ¤ ÷ îï ä#Ï ÅÝ9á .[4]

أي قصتها وصفتها التي يتعجب منها.

والمثل في القرآن: هو إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس سواء كانت تشبيها أو قولاً مرسلاً[5].

وقد عرّفه ابن القيم: - رحمه الله - بأنه تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر[6].

وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير والوعظ، والحث والزجر، والاعتبار، والتقرير، وترتيب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس، بحيث يكون نسبته للفعل: كنسبته المحسوس إلى الحس، وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر وعلى المدح، والذم، وعلى الثواب والعقاب وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره وعلى تحقيق

---

(١) سورة الرحمن: الآية (٦٠).

(٢) انظر: لسان العرب (٦١٢/١١) المفردات ٤٦٢.

(٣) سورة الرعد: الآية (٣٥).

(٤) سورة محمد: الآية ١٥.

(٥) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان – رحمه الله – ص٢٨٢، ٢٨٣.

(٦) أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (١٤٨/١) دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

أمر بإبطال أمر[١] قال سبحانه: â üÏr $š• ÎØF{$# $ygç/ÎôØ $Z=Ï9 $Br Ä $ygè=É)÷ètƒ žwÎ) tbqßJÎ=»yèø9$#
.á ÇÍÌÈ[٢]

قال الزمخشري: أي لا يعقل صحتها، وحسنها، وفائدتها، إلا هم؛ لأن الأمثال، والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأستار حتى تبرزها وتكشف عنها[٣].

وقد بَيّن ابن القيم ـ رحمه الله ـ فوائد الأمثال فقال: "ففي الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها، وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده أحد ولا ينكره، وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً، فالأمثال شواهد المعنى المراد ومزكية له، فهي كزرع أخرج شطأه فآزره، فاستغلظ فاستوى على سوقه، وهي خاصة العقل ولبه وثمرته[٤].

---

(١) البرهان في علوم القرآن (١١٨/٢) .

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٤٣).

(٣) الكشاف للزمخشري ٨٢٠.

(٤) أعلام الموقعين (٢٣٠/١).

المبحـــــث الأول

التسليـــــة

المبحث الأول

التسليـــة

من أساليب القرآن في الدعوة إلى عبودية الله تبارك وتعالى التسلية بضرب الأمثال.

فالله سبحانه يضرب الأمثال للأنبياء وللمؤمنين تسلية لقلوبهم؛ وذلك حينما يـــشتد الصراع بين الحق والباطل، فإن الباطل إلى اضـــمحلال وزوال والحـــق إلى دوام وثبـــات واستقرار، وذلك: كحال امرأة نوح، وامرأة لوط حينما كانتا على الكفر والضلال، وكانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فجاءت الآيات على سبيل تسلية أنبياء الله والمـــؤمنين مـــن بعدهم، وتثبيت قلوبهم، وترسيخها على العقيدة الصحيحة، وأنه لا يضرها كفـــر الكـــافر وعناد المعاند.

قال سبحانه: $FR%Ÿ2 ŦPqäN&•Bß$ 8ÿqçN&•Bß$(rãÿ. šú ï‰ÍÌ WB ª! $šU ŽÑÑ â

Ÿ‹ä šß$Ÿ@‹‰r $‰ß© «! $šÆ Ï $Kåçã $šŽÍøãÕ=ù $JÈ$FR$Üù Ï=sî» ¹ $RŠ$7ã ôÏ Ïø‰6ã MtB

.(١) á ÇÈ û,ÎÅ°‰9$ì B ‘$Z9$

وتسلية امرأة فرعون (آسية بنت مزاحم) على الصبر على ما تلاقيه مـــن زوجهـــا الكافر، وتثبيتاً لقلبها على العبودية لله تعالى.

8‰Ÿã ’í ÏøßÉ‘ M9$% Ø) šc ùãÏù N&•Bß$(qŽB#ä šú ï‰ÍÌ WB ª! $šU ŽÑÑr â

.(٢) á ÇÈ šú üÏÎ»9$Qø) ßšÆ Ï ÓÍÅr ¾Ï#Jãr šc ùãÏù `Ï ÓÍÅr þŸ f ß’Î$Ñ/

تبين من هذا المثل: أن الكافر يعاقب على كفره وعداوته لله ورسوله وأوليائـــه، ولا ينفعه مع كفره ما كان بينه وبين المؤمنين من لحمة نسب، أو وصلة صهر، أو ســـبب مـــن أسباب الاتصال، فإن الأسباب كلها تنقطع يوم القيامة، إلا ما كان منها متصلا بالله وحده على أيدي رسله فلو نفعت وصلة القرابة، والمصاهرة، أو النكاح مع عدم الإيمـــان لنفعـــت

---

(١) سورة التحريم: الآية (١٠).

(٢) سورة التحريم: الآية (١١).

الوصلة التي كانت بين لوط ونوح _عليهما السلام_ وامرأتيهما، فلم يغنيا عنهما من الله شيئا.. وقيل ادخلا النار مع الداخلين".

كما أن معصية الغير لا تضر المؤمن المطيع شيئاً في الآخرة، وإن تضرر بها في الدنيا بسبب العقوبة التي تحل بأهل الأرض، فلم يضر امرأة فرعون اتصالها به وهو من أكفر الكافرين[1].

كذلك مريم – عليها السلام – قال الله عنها: ßMY Á ô& ÚÉ$b°•ðÄ MY ß$Nféßr â :

.[2]á ûüÏÏ»)ø$ `Ï ßMR%. r ¾ïÎÇär $kßr ÏM»J‡3Î ßM%Z¹ r $Yïmr• Æ Ï ïŠü $Y÷ ÿYù $g_ëü

وفي ضرب المثل للمؤمنين بمريم _عليهما السلام_ أيضاً اعتبار آخر، وهو أنها لم يضرها عند الله شيئاً قذف أعداء الله اليهود لها، ونسبتهم إياها وابنها إلى ما برأهما الله منه مع كونها الصديقة الكبرى، المصطفاة على نساء العالمين، فلا يضر الرجل الصالح قدح الفجار والفساق فيه، وفي هذا تسلية لعائشة _رضي الله عنها_ أم المؤمنين وإن كانت السورة نزلت بعد قصة الإفك، وتوطين نفسها على ما قال فيها الكاذبون، وإن كانت قبلها كما في ذكر التمثيل بامرأة نوح ولوط، وتحذير لها ولحفظه مما اعتمدناه في حق النبي _صلى الله عليه وسلم_ فتضمنت هذه الأمثال التحذير لهن والتخويف، والتحريض لهن على الطاعة والتوحيد، والتسلية وتوطين النفس لمن أوذي منهن وتذب عليه، وأسرار التنزيل فوق هذا وأجل منه ولاسيما أسرار الأمثال التي لا يعقلها إلا العالمون[3].

وهذا المثل يذكرنا بالمثل الآخر، الذي ضربه الله للصراع بين الحق والباطل حيث شبههما بحالة الصراع بين ماء السيل الغامر، وأكوام الزبد المتناثر، وبحالة الصراع بين المعادن المنصهرة وزبدها الذي يتميز عن جوهرها، ثم يُطرح عنها فيذهب جفاء وبالنتيجة التي تتحصل بعد هذا الصراع، وهي أن الزبد المخالط المصارع للجوهر النافع، يذهب جُفاء وأما

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (١/١٨٠ – ١٨١) دار الكتاب العربي، ط الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، والأمثال في القرآن ٢٦٢ – ٢٦٣.

(٢) سورة التحريم: الآية (١٢).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/١٨١ – ١٨٢) .

ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ويكون له الدّوامُ، ومُجْد النفع وكذلك الحق، مهما صارعه الباطل، فالباطل إلى اضمحلال وزوال، والحق إلى دوام وثبات واستقرار، وكذلك المحِقُّون الثابتون المجاهدون لنصرة الحق مهما صارعهم المبطلون، فالمبطلون إلى اضمحلال وزوال، والمحقون إلى انتصار ودوام وثبات واستقرار[١].

قال سبحانه: #‰/– @¤q¡ 9$Ÿ@JGôn$u $dí‰)Î ß‹Šr« ÑM9$ ¡ ù ¤$B ä$J¡ 9$šÆ Ï B A“R& â :

¨; s¤ª! $ÐÎ=ÎØ„ 7ï° < . ¼ãæ#B Ó/– 8»FB r« þ×ùm ä$óÏ‹Ø$Í$Z9$’Î ïøã br‰ïqã$ÆÏBr $ÐÎ#§

Ð=ÎØ„ 7ï° < . ÇÚ öF{$’Î ãaðù ¨ $Z9$ßÏyZƒ $B $B&r ¤$ÿã Ð=dõŠù ‰/"9$$B'ù @ÏÜ»7¤ª

.[٢]á ÇÐÈ A$WØF{$ª! $

---

(١) أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، لعبد الرحمن الميداني ٦٥.

(٢) سورة الرعد: الآية (١٧).

المبحث الثانـــي

التشـــويق

المبحث الثاني

التشويق

إن من حقق معنى عبودية الله – سبحانه وتعالى – على الوجه الأكمل، كان حقاً على الله أن يجازيه على ذلك بجنة عرضها السموات والأرض، وليس ذلك إلا لعباده المؤمنين المتقين، الذين حققوا معنى لا إله إلا الله قولاً، وفعلاً، ظاهراً، وباطناً.

فمن استقرأ صفات المؤمنين في القرآن؛ وجد في نفسه دافعاً للاقتداء بهم والتسابق معهم على فعل الخيرات.

خاصة وأن الله ميزهم بجميل الصفات، ورفعهم في أعالي الدرجات بما اكتمل فيهم من صحة الاعتقاد، ومحاسن الأخلاق، والسير وفق المنهج الحق؛ فلذلك ذكر مآلهم في الآخرة بشيء من التشويق، والترغيب في الاقتداء بهم، والسير على خطاهم لعل العبد تناله نفحات إيمانية، ورحمات ربانية، فيظفر بالفوز بالنعيم الدائم، قال سبحانه: â @ûïÏ%©!$#

ª!$# pÇm è•$B 7¯ÿZ ë@ä 'Î ¯Î$Z™ ì ÓF;R pÇm @VJ. «!$# @<Î™ 'Î öNgs9ºuqBr& bqàÿZãƒ

.(١) á ÇÊÏÈ ÒŠÎæ ìÅr ª!$# â$±„ `J9 ß#èÒ

وقال أيضاً: â @W$!$# ¯ûÓÉ s%ãã ÓEGB bqà)G `B Ök¥r 9Å#ä Îöî ä$B `B Ök¥r

.(٢)á 'ÿÁB @|¡ ãôB Ök¥r ûüÎ/»±=j9 ç©¯B Ök¥r ¼çBè Û Z•óG/ Oç©&ù

بينت الآية الأولى: أن أشجار الجنة دائمة العطاء فهي ليست كأشجار الدنيا تعطي في وقت دون وقت، وفصل دون فصل، بل هي دائمة الإثمار والظلال(٣).

.(٤)á ÇÌÌÈ pãq㪩E wr pãqèÜ)B ž w ÇÌÊÈ ozŽ•W. pg2»ùr â

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٦١).

(٢) سورة محمد: الآية (١٥).

(٣) اليوم الآخر الجنة والنار، د. عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، دار النفائس، ط الثالثة ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ١٧٧.

(٤) سورة الواقعة: الآيات (٣٣ – ٣٤).

يقول تعالى ذكره فيها فاكهة كثيرة، لا ينقطع عنها شيء منها أرادوه في وقت من الأوقات، كما تنقطع فواكه الصيف في الشتاء في الدنيا، ولا يمنعهم منها ولا يحول بينهم وبينها شوك على أشجارها، أو بعدها منهم كما تمنع فواكه الدنيا من كثير ممن أرادها ببعدها على الشجرة منهم، أو بما على شجرها من الشوك، ولكنها إذا اشتهاها أحدهما وقعت فيه، أو دنت منه حتى يتناولها بيده[١].

وقد ورد في القرآن أصناف هذه الأشجار: كشجر العنب ÇÌÈ #-$ÿB ûüÉF3ü bÎ â وشجر النخل والرمان[٢] á ÇÌÈ $8ZÃr ,íŠn[٣] á ÇÏÈ ks$Bâr ®Ur pgÅ»ù $KÍŽÏ â وشجرة السدر والطلح â r&ÛÜr ÇÏÈ ŠqÒ 9‰Å 'Î ÇÐÈ È»tõ¼& $B È»tõ¼& ÇÏÈ ŠqÒZB[٤] á ÇÌÈ ¤Ž•Ï. ¯gÅ»ùr ÇÌÈ 5>qãó B &Br ÇÌÈ Šrß B ÇÐÈ ŠqÒZB.

فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر، وفي الآخرة على العكس من هذا، لا شوك فيه وفيه الثمر الكثير الذي أثقل أصله.

والطلح: شجر عظام يكون بأرض الحجاز من شجر العضاه، وهو كثير الشوك في الدنيا[٥] منضود معد للتناول بلا كد ولا مشقة[٦].

أما قوله: &ûÇ` B Ör r 9Å#ä Îöî ä&B ` B Ör $kŽÏ bqàÇ3&‰ãã ÓÉ$Ypg¤&@WB â

á 'ÿÁB @ ¡ ã ôB Ör r ûÏ»±-j ¤Ç9~ ôB Ör r ¼çÇ3èÛ ž•óÇƒ Ó©[٧].

---

(١) تفسير ابن جرير (٦٣٩/١١) .

(٢) سورة النبأ: الآيات (٣١ – ٣٢).

(٣) سورة الرحمن: الآية (٦٨).

(٤) سورة الواقعة: الآيات (٢٧ – ٣٢).

(٥) تفسير ابن كثير (٣٦٩/٤) .

(٦) الجنة والنار للأشقر ١٧٦.

(٧) سورة محمد: الآية (١٥).

وفي الحديث عن حكيم بن معاوية أن رسول الله r قال: (إن في الجنة بحر العسل وبحر الخمر، وبحر اللبن، وبحر الماء، ثم تنشق الأنهار بعد)[١].

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله r: (رفعت لي السدرة، فإذا أربعة أنهار: نهران ظاهران، ونهران باطنان، فأما الظاهران فالنيل والفرات، وأما الباطنان فنهران في الجنة)[٢].

ومن أنهار الجنة الكوثر الذي أعطاه الله لرسوله r [٣]á ÇìÈ •0ö3ø¤š• »Ÿø¨Ü㫤 $R‾ â

وقد رآه الرسول r وحدثنا عنه ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك عن النبي r قال: (بينما أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدور المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طيبه – أو طينه – مسك أذفر)[٤].

أيضاً ما رواه مسلم في صحيحه عن أنس – t - أن الرسول r حين أنزلت عليه (إنا أعطيناك الكوثر" قال أتدرون ما الكوثر قالوا: الله ورسوله أعلم: قال هو نهر وعدنيه الله عز وجل، عليه خير كثير)[٥].

وليس هذا كل ما في الجنة فما ذكرته غيض من فيض بل فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

---

(١) سنن الترمذي، باب ما جاء في صفة أنهار الجنة، (٤/٦٩٩) رقم (٢٥٧١)، وحكيم هو حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري، والد بهز بن حكيم من أعيان التابعين وكان صدوقا روى عن أبيه معاوية بن حيدة الصحابي وروى عنه ولده بهز. ترجمته في تقريب التهذيب (١٧٧) تحقيق محمد عوامة ط دار الرشيد سورية – حلب ط ٤ – ١٤١٨هـ .

(٢) صحيح البخاري، باب شرب اللبن وقوله تعالى: من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين. (٥/٢١٢٨) رقم (٥٢٨٧) .

(٣) سورة الكوثر: الآية (١).

(٤) صحيح البخاري. باب في الحوض وقال تعالى: إنا أعطيناك الكوثر... (٥/ ٢٤٠٦) رقم (٦٢١٠) .

(٥) مسند أبي يعلى (٧/٤٠) رقم (٣٩٥١) .

قال الشيخ حسين أسد: إسناده صحيح.

وكما شوقنا سبحانه للأشجار والأنهار شوقنا أيضاً للحور العين في الجنة فقال: á çïÈ ÈqZJQ»VBX. çïÈ îqãr â[1].

أي كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه[2].

وقد ذكر السعدي -رحمه الله - كلاماً جميلاً في شأن الحور فقال: "الحوراء: التي في عينها كحل، وملاحة، وحسن وبهاء، (والعين) حسان الأعين وضخامها وحسن العين في الأنثى من أعظم الأدلة على حسنها وجمالها (كأمثال اللؤلؤ المكنون) أي كأنهن اللؤلؤ الأبيض الرطب الصافي البهي المستور عن الأعين، والريح والشمس الذي يكون لونه من أحسن الألوان، الذي لا عيب فيه بوجه من الوجوه، فكذلك الحور العين لا عيب فيهن بوجه بل هن كاملات الأوصاف، جميلات النعوت فكل ما تأملته منها، لم تجد فيه إلا ما يسر الخاطر، ويروق الناظر، وذلك النعيم المعد لهم (جزاء بما كانوا يعملون) فكما حسنت منهم الأعمال، أحسن الله لهم الجزاء ووفر لهم الفوز النعيم[3].

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن لا يحرمنا من فضله اللهم آمين.

---

(١) سورة الواقعة: الآية (٢٢- ٢٣).

(٢) تفسير ابن كثير(٣٦٧/٤) .

(٣) تفسير السعدي ٨٣٣ .

المبحث الثالث

السخرية والاستهزاء

المبحث الثالث

السخرية والاستهزاء

إن من منة الله تعالى على خلقه أن ضرب لهم الأمثال فقال تعـــالى: $YÙØŠÀ ßà)9r â وقال [1] á ÇÌÈ #Yqèà2 ØvÎÄ $Z9$ÇYø& #1'ù @WB Èä `B È#äéà2&#‹»d 'ÎÄ $Z-Ï

Ïf(ÿÝY2 ûïÏ%©!$£9qà‹ÇÞ7ƒ$«Î NGÇvÅ_ ûÈr @WB Èä `B È#äéà2&#‹»d 'ÎÄ $Z-Ï $YÙÎÑ

.[2] á ÇÎÌÈ bqèÜÏÞß ØvÎ ÓÉR&

وقد نهى عباده عن ضرب الأمثال له فقال: [3] á A$VÐßF$-! ‹qÇÎØ? Ÿù â أي فـــلا تمثلوا لله الأمثال، ولا تشبهوا له الأشباه، فإنه لا مِثْل له ولا شِبْه، أي لا تجعلوا معـــي إلهـــاً غيري فإنه لا إله غيري[4]، فهو سبحانه لا مثيل، ولا نظير، ولا شبيه له ولا ند لـــه، لا في خلقه، ولا فعله، ولا في أسمائه، ولا في صفاته.

وقد ضرب سبحانه مثلاً لنفسه ولما يعبد من دونه فقال: 4?ã ßàÒè/ ÖÒÙ ª! $r â

á±q™ ìŠÙ ÓGù ÑàJ# Ñ 6 =B $B 4?ã ÓGÏø “ Ï•Î ‹qèÒèšú ï%©!$Jù Éø9$’Î<Ùè/

.[5] á ÇÐÈ šc r& s ø‹ s9 Jèß

وقال في سورة الروم مثلاً قريباً من هذا â Nà@d Ñà^ø& ôÐ WB Nà9 >ŽÑ

Ñà6 ÏyŠÏ, . ÑGR qè/B Ïq™ ìŠÙ ÓÇR'ù Ñà6 »Ÿø‘ $B 'Îä!Ÿ2 žà `B Nàà J# Ñ3=B $B `Ð

.[6] á ÇÌÈ šc qè=ÏÒ)Ï Ì»ƒ¥Š$Ò Ïç 7Ï°‹Ÿ2 Ñà¡ø&

---

(١) سورة الإسراء: الآية (٨٩).

(٢) سورة الروم: الآية (٥٨).

(٣) سورة النحل: الآية (٧٤).

(٤) تفسير ابن جرير (٧/٦٢١) .

(٥) سورة النحل: الآية (٧١).

(٦) سورة الروم: الآية (٢٨).

فالله يسخر من هؤلاء المشركين الذين لا يرغبون في مشاركة مماليكهم بشيء هو ملك لهم "المال والأهل" فإذا كانوا لا يرضون هذا لأنفسهم فكيف يرضون بأن يجعلوا مخلوقات الله شركاء له في عبوديته وملكه(١).

كما ضرب مثلين لنفسه ولما يعبد من دونه فقال: ¼Zqè0B #‰õã ¸x VB ª! $>ŽÑ * â :

šc ¼âGó„@d #•ô_r #ŽÅ ç¥B ßÿZãqßù $Z¡m $‰øí $ZB ç»Y¥-§`Br ãÓ« 4?ã â‰øƒ¾v

â‰øƒ¾v ñ 6 ß $Jè‰n& È#ã§W¾B ª! $>ŽÑr ÇÎÈ bqß-ôƒ¾v ñèŽò2 &@/ -‡ ‰ßtø$

ãÛƒ`Br qè "ÈGó„@d Žø¸2ÑÛƒ¾v ¤gÅ¸qã$JZ#& ç99ôB 4?ã @Y2 qèr ãó_ « 4?ã

á ÇÎÈ ßÉFó¸B Þ°ŽÅ 4?ã qèr ÉŠèø(٢).

فالمثل الأول: ضربه الله سبحانه لنفسه وللأوثان فإن الله سبحانه هو المالك لكل شيء، ينفق كيف يشاء على عبيده سراً وجهراً، ليلاً ونهاراً يمينه ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، والأوثان مملوكة عاجزة لا تقدر على شيء فكيف تجعلونها شركاء لي؟ تعبدونها من دوني مع هذا التفاوت العظيم والفرق المبين.

وأما المثل الثاني: فهو في نفس القضية، فالصنم الذي يعبدونه من دونه بمنزلة رجل أبكم لا يعقل، ولا ينطق عاجز عن كل شيء، ومع هذا فأينما يرسله مولاه لا يأتيه بخير ولا يقضي له حاجة فهو سبحانه حي قادر متكلم يأمر بالعدل، وهو على صراط مستقيم وكونه سبحانه على صراط مستقيم يقتضي أنه لا يقول إلا الحق، ولا يأمر إلا بالعدل، ولا يفعل إلا ما هو مصلحة، وحكمة وعدل فهو على الحق في أقواله وأفعاله، فلا يقضي على العبد ما يكون ظالما له به ولا يأخذه بغير ذنبه ولا ينقصه من حسناته شيئاً ولا يحمل عليه من سيئات غيره التي لم يعملها ولا يتسبب إليها شيئاً، إذن بعد هذا كله فهل يحق له أن

---

(١) انظر تفسير ابن جرير (٧/٦١٥ – ٦١٦) .

(٢) سورة النحل: الآيات (٧٥ – ٧٦).

يساوي بين الله وبين هؤلاء؟[١].

- فكما نعى الله على المشركين وسخر منهم في كونهم اتخذوا من دونه آلهة، نعى عليهم أيضاً أن ما اتخذتموه من هذه الآلهة التي لا تنفع ولا تضر يدل على جهلكم وسفاهة عقولكم.

كما بين القرآن عجز الآلهة المزعومة من سماع الدعاء وعن إجابته فقال سبحانه:

[illegible]

ينعق أي: يصيح في الغنم والنعيق: هو صياح الراعي في غنمه هذا مثل[٢] لضعف الكافرين الذين رفضوا أن يستجيبوا لدعوة الإيمان؛ لأنهم صمموا على أن لا يؤمنوا واختاروا بكمال إرادتهم سُبل الكفر على سبيل الإيمان[٣]

[illegible]

.[٤]

قال ابن جرير: — رحمه الله — هذا مثل ضربه الله، أي: هذا الذي يدعو من دون الله هذا الوثن، وهذا الحجر، لا يستجيب له بشيء أبداً، ولا يسوق إليه خيراً، ولا يدفع عنه سوءاً، حتى يأتيه الموت: كمثل الذي بسط ذراعيه إلى الماء ليبلغ فاه، ولا يبلغ فاه، ولا يصل إليه ذلك حتى يموت عطشا[٥].

كما أورد القرآن أمثالاً، دلت على ضعف الآلهة الباطلة عن نفع عابديها عند الحاجة إليها

---

(١) انظر: إعلام الموقعين (١/١٥٧ — ١٥٨).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٧١).

(٣) أمثال القرآن للميداني، ١١٩.

(٤) سورة الرعد: الآية (١٤).

(٥) تفسير ابن جرير (٧/٣٦٥).

فذكر سبحانه أنهم [1] ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياء أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتا، وهو أوهن البيوت وأضعفها وتحت هذا المثل، أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء، فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفاً كما قال تعالى: [2] وقال [3] وقال بعد أن ذكر إهلاك الأمم المشركين [4].

فهذه أربعة مواضع في القرآن تدل على أن من اتخذ من دون الله وليـاً يتعزز به ويتكبر به ويتستنصر به، لم يحصل به إلا ضد مقصوده وفي القرآن أكثر من ذلك وهذا من أحسن الأمثال، وأدلها على بطلان الشرك، وخسارة صاحبه حصوله على ضد مقصوده[5].

---

(١) سورة العنكبوت: الآية (٤١).

(٢) سورة مريم: الآيات (٨١ -٨٢).

(٣) سورة يس: الآيات (٧٤ – ٧٥).

(٤) سورة هود: الآية (١٠١).

(٥) الضوء المنير على التفسير، لابن القيم (٤/٥٠٥ – ٥٠٦) .

المبحث الرابع

الاتعاظ والاعتبار

المبحث الرابع

الاتعاظ والاعتبار[1]

عندما دعا هود – عليه الصلاة والسلام – قومه إلى عبودية الله وحده لا شريك لـــه وذكرهم بأن هذه الأحجار التي يعبدونها لا تجلب لهم نفعا، ولا تدفع عنهم شراً، وما هـــذا إلا لون من السخف، وازدراء العقول وامتهان الكرامة، وانحدار المستوى الإنساني، والأجدر بهم أن يعبدوا إلهاً واحدا هو الله الذي أحياهم وخلقهم ورزقهم، وهو الذي يميتهم، وأمدهم بالنعم والخيرات الوفيرة، وأنبت لهم الزرع وبسط لهم في الأجسام، وبارك لهـــم في الأنعـــام وأنشأ لهم الكلأ الذي ترعى فيه ماشيتهم[2]، لقد رغبهم بأساليب فيها تلطـــف، وسمـــو في الأخلاق، ثم رهبهم وذكرهم بعقاب الله للمعاندين الضالين، فأعرضوا عن دعوته، وكذبوه ووصفوه بعبارات تدل على حماقتهم وجهلهم، فأنزل الله عقابه عليهم وصوّر القرآن أنواع العذاب الذي حلّ بهم على سبيل البيان والإيضاح، وسأذكر في هذه العجالة نوعاً من عذاب الله لهم قال سبحانه: ¨ $Z9$šáí\? ÇÈ ÐÙGóÞB <s tW ÒöƒÎ#ŽÀŽÀ $t†í ÑÍÖã $ZÙ™ö& $RÎâ :

.[3]á ÇÈ 9Œ)ÝB @ÞW ãs fã& ÑÅ(.

وقال عنهم في سورة الحاقة: $BqÝãn Ès f& pšÏ»J0r As$9 ìÖ™ ÑÍÖã $d•q™â :

.[4]á ÇÌÈ Ö<Ï$/ .ÞNG9 3• ?@gù ÇÈ ÖÍÏ{ @Þ ãs fã& ÑÅ(. áçŽÀ $kŽÏ Pö)Ås " ŽIù

فهي ريح صرصر عاتية، قوية، شديدة الصوت، أو هي كالصرير المؤذي لتجاوزهـــا حد المألوف، وقد عصفت تلك الريح بقوم عاد الذين كانوا يدّعون القوة والبأس، عـــصفاً قاتلا بحيث لم يكن لهم قدرة على احتماله، وقد قهرهم الله بها لمدة سبع ليال وثمانيـــة أيـــام

---

(١) يأتي المثل بمعنى الاعتبار ومنه قوله سبحانه: "فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين" فمعنى المثل هنا: أي عبرة يعتـــبر بهـــا المتأخرون، لسان العرب (٦١٢/١١) .

(٢) القصة القرآنية هداية وبيان أ. د. وهبة الزحيلي، دار الخير ٤٩ بتصرف ط الأولى ١٤١٣هـــ - ١٩٩٢م.

(٣) سورة القمر: الآيات (١٩ – ٢٠).

(٤) سورة الحاقة: الآيات (٧ – ٨).

متواصلة متتابعة[١].

ففي سورة الحاقة شبههم بأعجاز النخل الخاوية، أي الخالية مما كان مالئاً وحالا فيه[٢]، أي أرسلها عليهم قاصمة وقاطعة مستمرة حتى أهلكتهم و لم يبق منهم أحد[٣] والزمخشري: يجوِّز أن يريد بـ(المستمر) الشديدة المرارة والبشاعة[٤].

فالمشبه هنا: همودُ أجساد قوم عاد، وصرْعها، وخلُوُّها من الحياة والحركة.

المشبه به: خلو النخلة الخاوية من النمو والحركة، والنضرة، وهنا معلوم بالبديهة.

ووجه الشبه: الخواء والخمود، وذهاب الحياة والحركة.

والغرض من التشبيه في سورة الحاقة هو تقريب غير المعلوم بالبديهة، وهو خواء الجسد من الحياة والحركة، إلى المعلوم بالبديهة وهو خواء الشجرة من النضرة والحياة[٥].

قال ابن عاشور: -رحمه الله - وهذا الوصف لتشويه المشبه به بتشويه مكانه، ولا أثر له في المشابهة، وأحسنه ما كان فيه مناسبة للغرض من التشبيه، كما في الآية فإن لهذا الوصف وقعا في التنفير من حالتهم ليناسب الموعظة والتحذير من الوقوع في مثل أسبابها[٦].

وفي سورة القمر شبههم بأعجاز نخل منقعر، أي منقلع من أرضه ثم إن هذه الأعجاز قد بليت حتى غدت أجوافها خالية[٧].

المشبه في الآية: قلع الريح لقوم عاد، ونزعها لهم، وقطعها لرؤوسهم.

والمشبه به في الآية: قلع الريح للنخل واجتثاثها له، وقطعها لرؤوسها.

ووجه الشبه في الآية: القلع والقطع والانقعار.

---

(١) الأمثال والمِثل والتمثيل والمثلان في القرآن الكريم ٣٨٨، سميح عاطف الزين.

(٢) التحرير والتنوير (١٢/١١٨) .

(٣) أنبياء في القرآن تركوا آثاراً ٤٢.

(٤) انظر: الكشاف ١٠٦٤.

(٥) القصص القرآني في عرض وقائع وتحليل أحداث، صلاح الخالدي (١/٢٥٩) .

(٦) التحرير والتنوير (١٢/١١٩) .

(٧) أمثال القرآن للميداني ١٧٣.

أي أن الآية شبهت قلع الريح لقوم عاد، وقطعها لرؤوسهم ونزعَها واجتثاثها لهـــم – وهذا أمر غير مألوف ولا معتاد عند الناس – بقلع الريح للنخل وقطعها لرؤوسها وقعرها واجتثاثها لها وهذا مألوف معتاد.

فالتشبيه في الأرض من باب تشبيه غير المألوف وغير المعتاد، وهو قعر واجتثاث قوم عاد بالمألوف والمعتاد، وهو قعر واجتثاث الريح للنخل[1].

---

(١) القصص القرآني في عرض وقائع وتحليل أحداث د. صلاح الخالدي (١/٢٥٨) .

المبحث الخـــامس

الـمـــــدح

المبحث الخامس

المــدح

أسلوب المدح غرض من أغراض ضرب الأمثال في الدعوة إلى عبودية الله، فكل من حقق معنى العبودية لله رب العالمين استحق المدح والثناء، وقد أشاد سبحانه بمدح الــنبي r وصحبه، ويصاحب هذا الغرض غرض آخر وهو نصب القدوة الصالحة للاقتداء بالممدوح[1].

قال ســبحانه: â Ctβθß§Ïqß$# Ã« «!$# 4 tûïÏ%©!$#uρ ÿ…çµyètΒ â!#£‰Ï©r& ’?tã Í‘$¤ä3ø9$# âqâ!$uΗxqâ /Ñ7ø9

?•1ø‰ßNs âôÇ$%ü #Yf£™ß ÆôqâbtóÆo tβθäóö6tƒ WξôÒsù š`ÏiΒ «!$# $ZΡ≡uθôÊÍ‘uρ ( öΝèδ$yϑŠÅ™ ’Îû öΝÎγÏδθã_ãρ ô`ÏiΒ ÌrOr& ÏŠθàf¡9$# 4 y7Ï9≡sŒ šΝßγè=sVtΒ

E‰º7 Be½Nθ’Î $9ÿq‘1p á[2].

فالمثل هنا بمعنى الصفة حيث قال الشوكاني – رحمه الله – "والإشارة بقوله ذلك إلى ما تقدم من هذه الصفات الجليلة[3].

(ومثلهم في التوراة) أي وَصْفُهُمْ في التوراة[4].

في هذه الآية المباركة وصف لمحمد r ولأصحابه الكرام، ورد بهذه الصورة الوضيئة وبهذا الثناء الكريم على تلك الجماعة الفريدة السعيدة التي رضي الله تعالى عنــها وبلَّغهــا رضاه، فقد امتدح أولاً نبيه e بأعظم الصفات بوصف الرسالة، ذلــك العطــاء الإلهــي والفضل الكبير، فهي اصطفاء واختيار وتمييز[5]، ثم وصف أصحاب محمــد r في التــوراة بصفات وهي:

١- â ©Ë‰Ï©r& ’?tã Í‘$¤ä3ø9$# á أي جادون مجتهدون في عداوēم، وساعون في ذلك بغايــة جهدهم، فلم يروا منهم إلا الغلظة والشدة؛ فلذلك ذل أعــداؤهم لهــم وانكــسروا

---

(١) انظر: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، (١/١٦٥). د. عبد الله الجربوع.

(٢) سورة الفتح: الآية (٢٩).

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٥/٥٦) .

(٤) أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع ٩٩.

(٥) الأمثال والمثل والتمثيل والمثلان في القرآن الكريم، لسميح عاطف الزين ٥٧٤.

وقهرهم المسلمون[١].

٢- â âqä$# â!©Nx/ á أي متوادون متراحمون يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة، ولمن وافقه الرحمة والرأفة[٢].

٣- â ?•1ôgN©ãèy$# £`ßJ×Ž#Gõ6tƒ bqäóu‹ö6tƒ Wxôùs` ÆÏiB «!$# $ZRºuqôÊÍ‘ur (öNèd$J‹Å™ ’Îû ‘Îgã_ãr ô`ÏiB ̍rOr& ÏŠqàf¡9$#

9 ¡•ÌŠqàf¡9$# á أي هم عباد الله المخلصون، الذين جعلوا الإخلاص في أعمـــالهم ســـبباً للسعادة الأبدية، فوصفهم بشعيرة عظيمة وركن عظيم من أركان الإسلام، ألا وهـــو الصلاة بركوعهم وسجودهم، وآثار خوفهم وخضوعهم، ومحبتهم ورجائهم حققـــوا هذه العبودية عبودية القلب وكذلك حققوا عبودية اللسان في كثرة ذكرهم لله تبارك وتعالى بالتسبيح والتهليل والتكبير وتلاوة كتاب الله آناء الليل وأطراف النهار وحققوا عبودية سائر الجوارح حيث سخروا تلك الجوارح لله فلا تقدم إلا على ما يرضي الله ولا تبتعد إلا عن ما يسخط الله فبذلك استحقوا المدح والثناء.

أما وصف أصحاب محمد r في الإنجيل، فقد تناول عن طريق التمثيـــل والتـــشبيه مظهر نماء الأمة الإسلامية، وتكاثرها وتماسكها، ووحدة كيانها بدء من النواة الأولى لهـــذه الأمة فالقلة المخلصة التي اجتمعت حولها إلى التكاثر السريع حتى أخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجا[٣].

فمثلهم كزرع قد نبت ضئيلا ضعيفا ثم لا يلبث ساقه أن يقوى، بما ينبت حوله من البراعم فيشتد بها ساعده، ويغلظ حتى يصبح بهجة الزراع وموضع إعجابه، يجـــد في ذلـــك صورة شديدة المجاورة لصورة أصحاب محمد r ، فقد بدءوا قلة ضعافاً ثم أخذوا في الكثرة والنماء، حتى اشتد ساعدهم، وقوي عضدهم وصاروا قوة تملأ قلب محمد r بهجة، وقلوب الكفار حقداً وغيظاً[٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٧٩٥.

(٢) فتح القدير، للشوكاني (٥/٥٥) .

(٣) أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع ١٠٠.

(٤) من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي، ١٥٢.

المبحث السادس

الـــذم

المبحث السادس

الــذم

ذم الله تبارك وتعالى اليهود الذين تركوا العمل بالتوراة، وابتعدوا عن عبودية الله إلى معبودات لا تنفع ولا تضر.

قال تعالى: â ûïÿ$#@ãVB ûïÏ%©!$# (#qè=Ïdãm sp1'uö§9$# §NèO öNs9 $ydqè=Ïôtsu È@sVyJx. Í$yJÅsø9$# ã@ÏJøts #I$xÿór& 4 }§ø©Î/ ã@sVtB ÏQöqs)ø9$# ûïÏ%©!$# (#qç/¤x. ÏM»tY$t«Î/ «!$# 4 ª!$#ur w ÏöÍku tPöqs)ø9$# tûüÏJÎ=»©à9$# ÇÎÈ á[1].

(بئس مثل القوم) أي بئس مثلا مثلُ القوم الذين كذبوا بآيات الله، علـــى أن التمييـــز محذوف، والفاعل المفسر به مضمر، ومثل القوم هو المخصوص بالذم[2].

والظاهر أن الغرض من ضرب المثل لهم بهذا ذمُّهم بالجهالة المساوية لجهالـــة البـــهائم وتخصيص الحمار أبلغ من غيره في الذم؛ لاشتهار الحمار عند الناس بالبلادة والغباء والجهالة المفرطة[3].

"فقاس من حَمَّله سبحانه كتابه ليؤمن به ويتدبره ويعمل به ويدعوا إليه ثم خالف ذلك و لم يحمله إلا على ظهر قلبه فقراءته بغير تدبر، ولا تفهم ولا اتباع له، ولا تحكيم له، وعمل بموجبه كحمار على ظهره زاملة أسفار لا يدري ما فيها، وحظه منه حمله على ظهره لـــيس إلا، فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره، فهذا المثل وإن كان قد ضرب لليهود، فهو متناول من حيث المعنى لمن حمل القرآن فترك العمل به، و لم يؤد حقه و لم يرعه حق رعايته[4].

كذلك ضرب الله مثلاً على سبيل الذم لمرأة نوح وامـــرأة لـــوط â z>uÑ ª!$# WxsVtB

tûïÏ%©#Ïj9 (#rãxÿx. |Nr&tøB$# 8yqçR |Nr&tøB$#ur 7Þqä9 ($tFtR%x. |MóstB Èûøïyö6tã ô`ÏB $tRÏ$t7Ïã Èû÷üysÎ=»|¹

---

(١) سورة الجمعة: الآية (٥).

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٥/٢٢٥) .

(٣) أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع ١٠١.

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/١٦١) .

.[1]á ÇÈ û,Î Å ‰9$ì B ‘$Z9$Ÿ ä Š$Ÿ@‹Ïr $\Ÿ© « ‹ $Š Æ Ï $Kåã $Šïáõ ù $J FRÜù

فالآية الكريمة سيقت على سبيل الذم لهاتين المرأتين الكافرتين، بسبب بعدهما عن العبودية الحقة إلى العبودية الباطلة حيث كانتا مشركتين بالله تعالى.

وعبر بقوله "فخانتاهما"، والخيانة وصف يدل على منتهى المذمة، قال ابن عباس[2] – رضي الله عنهما – كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، فكان ذلك من أمرها، وأما امرأة لوط فكانت إذا ضاف لوطاً أحد خبَّرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء، "فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً" أي فلم يغن نوح ولوط عن امرأتيهما من الله لما عاقبهما على خيانتهما أزواجهما شيئاً، و لم ينفعهما أن كان أزواجهما أنبياء[3].

---

(١) سورة التحريم آية ١٠، وانظر التعليق على هذه الآية في مبحث التسلية ص ٢٣٩ - ٢٤١.

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن شباب الصحابة الهاشميين النبيين الحبر البحر في التفسير وكان ترجمان القرآن – رضي الله عنهما – هو وأبوه، قال الإمام الذهبي: روي أنه لم يكن على الأرض في زمانه أعلم منه، وقد دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بالفقه في الدين وأن يعلمه التأويل قرأ عليه عكرمة، ومجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير وغيرهم، وتوفي بالطائف سنة ثمان وستين. ترجمته طبقات ابن سعد (٣٦٥/٢) الاستيعاب (٣٤٢/٢) الإصابة (٣٢٢/٢) .

(٣) تفسير جامع البيان (١٦١/١٢) .

المبحث السابع

رد الشبهـــات

المبحث السابع

رد الشبهات

لا يزال أعداء الملة يكنون للإسلام والمسلمين العداء بكل ما يستطيعون، من أجل تشكيكهم في عقيدتهم، فهم كحال من يَدُسُّ السُّمَّ في العسل ومن أبرز تلك القضايا إثارة الشبهات حول الرسول r الذي أنزل عليه الوحي، فمن تلك الشبهات شبهتهم في إرسال رسول من جنسنا قال سبحانه: [illegible] .(١)

يقول تعالى لرسوله r "قل" لهؤلاء المشركين المكذبين برسالتك إليهم – " إنما أنا بشر مثلكم " أي علمي كعلم البشر لا أتجاوز البشرية ولا أتعداها إلى الملكية، وإنما أنا آدمي مثلكم، إلا أني خصصت بالوحي، وأكرمني الله به، وإن الله يوحي إلي أن معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً معبود واحد لا ثاني له، ولا شريك له في الخلق ولا في سائر أحكام الألوهية(٢).

ولم تكن شبهتهم حول النبي r شيئاً جديداً، بل طرحت تلك القضية في قوم نوح – عليه السلام – وقاله قوم شعيب – عليه السلام - [illegible] .(٣)

وقاله قوم صالح – عليه السلام - [illegible] .(٤)

---

(١) سورة الكهف: الآية (١١٠).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير (١٤٦/٣) ابن حجر (٢٩٩/٨) البغوي (١٨٧/٣) تفسير أبي السعود (٢٢٣/٤) فتح القدير (٣١٨/٣) التحرير والتنوير (٥٥/٧) .

(٣) سورة الشعراء: الآية (١٨٦).

(٤) سورة القمر: الآية (٢٤).

إذن هذه السنة ليست في نبي عن سائر الأنبياء قال سبحانه [illegible] .[1]

فالله سبحانه حينما أرسل للناس رسلاً من البشر، كان هذا لحكمة إلهية تتحقق معها الغاية من هذا الإرسال والتبليغ.

وقد اعترضوا على بشرية الرسل بأصل مادة الطين فمن أين له هذا التكريم؟!

ولكن القرآن يرد تلك الاعتراضات الباطلة، حيث أن مادة الطين مهيأة للحياة على هذه الأرض [2] ولكن التكريم جاء من نفخة الروح التي استحق بها إسجاد الملائكة له [illegible] .[3]

بهذه النفخة الإلهية تميز وصار إنساناً، واستخلف في الأرض.. وقد أودع فيه الاستعداد للاتصال بالملأ الأعلى.

إذن لا مجال للإنكار على بشرية الرسل إذا أدرك العاقل مكانة الإنسان في ميزان الله وإذا أدرك حكمة الله في النبوات والرسالات[4]، وليتهم اكتفوا بتلك الشبهة فقط، ولكنهم ما زالوا ولا يزالون في إثارة الشبه والطعن على نبينا وحبيبنا إلى يومنا هذا فقد قالوا عنه أنه شاعر وقالوا إنه كاهن وقالوا إنه مسحور قال سبحانه: [illegible]

---

(١) سورة التغابن: الآية (٥ – ٦).

(٢) سورة طه: الآية (٥٥).

(٣) سورة ص: الآيات (٧١ – ٧٢).

(٤) المعجزة والرسول من خلال سورة الفرقان، أ. د. مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ط الأولى، ٨٢ – ٨٣.

.[١]á WW<Î™ bqã<ÜGó¸„ Ÿx ù ¢(q•Ÿ Ù A$WØF¢$ 7 9 ¢(qŽŸÑ # ø.

قال ابن جرير – رحمه الله – يقول تعالى ذكره: انظر يا محمد بعين قلبك فاعتبر كيف مثلوا لك الأمثال وشبهوا لك الأشباه بقولهم هو مسحور وهو شاعر وهو مجنون"[٢].

وإنما سمى الله تعالى الأوصاف التي وصفوا بها النبي r أمثالاً باعتبار أنهم مثلوه في أنفسهم، ثم وصفه كل منهم بما يوافق ما مثله به فالذي وصفه بأنه شاعر اشتبه عليه حاله وما يأتي به من الوحي المطهر الفصيح المؤثر بحال الشاعر فتماثل حاله مع حال الشاعر عنده فوصفه بأنه شاعر، فالواقع إلى الوصف في الأصل هو اشتباه التماثل، وكذلك من وصفه بأنه ساحر أو مجنون، اشتبه عنده حاله بحال أولئك فمثَّله بهم، ثم وصفه بتلك الأوصاف.

فالتعبير بلفظ "الأمثال" لما وصف به النبي r يُشير إلى أصل الوصف وهو التمثيل والمشابهة، التي قامت في قلوبهم قبل أن يصفوه[٣].

وقد رد الله عليهم هذه الاتهامات فقال نافيا عنه السحر، والكهانة والجنون

= ≠' ¾ïÎ ÍÈ ≠ŽIR ¢ð$© bqâqà ƒ P& ÇÌÈ Aqãqc Ÿr 9Ù%3Î 7Î ÏMJè ÎÎ MR& $Jù ¢Â2 ‹ù â

Ùè P& ‡‹»Ó Là3»-n& Ó¢Â? P& ÇÌÈ ûüÅ ÎI3Â$Æ Ï NâèB 'Ûù ¢(qŸÁ•? @¢ÇÌÈ Èqã J¢$

.[٤]á ÇÌÈ bqâ$Û Pq%

وقال تعالى: $B WW<Î% 9Ù%. Éq)Î Ÿr ÇÍÈ bqãBsê$B WW<Î% 9Ã$© Éq)Î qè $Br â

.[٥]á ÇÍÈ ûüÏ»è¢Éß ` Ï @ƒÍ\? ÇÍÈ brã©<?

كما أن المعاندين إذا رأوا أمراً خارقاً أظهره الله على يد نبيه قالوا: إنه سحر.

---

(١) سورة الإسراء: الآيات (٤٧ – ٤٨).

(٢) تفسير ابن جرير (٨/٨٨) .

(٣) الأمثال في القرآن، د. عبد الله الجربوع (١/٥٩) .

(٤) سورة الطور: الآيات (٢٩ – ٣٢).

(٥) سورة الحاقة: الآيات (٤١ – ٤٣).

.[1]á ÇîÈ ûüîB ëöš Å ŭvÎ ‡‹»d ÞÎ ‰ (pæ%r ÇîÈ brëï, ó Fó „ Ø/#ä (r•ƒ ' #Œ)r â

لم يكتفوا بهذه العبارات اللاذعة، وهذه السخرية العنيفة، بل بلغ بهؤلاء الجاحـــدين الأمر إلى الطعن في نبيهم بشيء من لوازم البشرية كأكل الطعام، والمشي في الأسواق.

ïnøÎ AÌ'R€ŵwöº É#qÕ'F{$ † Î ÓÅ ðƒr Q$èÖº$ã@à2 ûƒ ÆqÍ'S$$#‹»d Æ$B ‰(qæ%r â

A$%r $g¥Ë ã@à2 ûƒ pŸ_ ¼çº ãqã? ŕ& î\Ÿ2 ïnøÎ #+‡ãŕ& ÇîÈ #•ƒÉR ¼çèB šc qãŠù Ò• =B

‰(q•Ò ù @»WÐF{$š• 9 ‰(qçŽÑ # øŸ2 öšR$ÇîÈ #'qS ó B Wvã_ ' ŭvÎ šc qæî©? bÎ šc qß¡Î»ê¹$

.[2]á ÇîÈ Wv‹Î™ bqã‹ÜG ó „ Ÿx ù

وخلاصة القول هنا:

لقد كان السبب الذي جعل هؤلاء الضالين يثيرون تلك الشبه وغيرها وينكـــسون الحق إلى الباطل هو داء الكبر العضال الذي منعهم من قبول الحق والانقياد لأمر الله، والحقد الدفين للإسلام والمسلمين، حتى صرفهم عن فهم آيات القرآن وتأمل ما فيها قال سبحانه:

Ø/#ä @à2 ‰(r•ƒ bÎr ‰Ès¹ÎöÎ ÇÚ öF{$'Î šc rèé=Gƒ ûï‰Ó É/#ä ôã S ÎÀ'™ â

Wv‹Î™ çräÏ, Gƒ ëöS@‹Î™ ‰(r•ƒ bÎr Wv‹Î™ çräÏ, Gƒ Ÿv ï‰Ö•$@‹Î™ ‰(r•ƒ bÎr $k‰(qäBs¤ŭv

.[3]á ÇîÈ û,‡Ï»î $k]ã ‰(qè%.r $ZÏ»ƒ$«Î ‰(qçx. Nå'Î 7 ï°Œ

وقال ســـبحانه: $¢ÞB ŽãŸ2 NG?% ?»ÜtÎ Îöî «‹ $Ï»ƒ#ä ÞÎ bqã‰»gã šú ï‰Ó$â

.[4]á ÇÎÈ 9¨6_ ÐÉ=Fã É ù @à2 4?ã ª $ß7Öƒ š• ï° . ‰(qäB#ä ûï‰Ó$‰Zãr «‹ $‰Zã

---

(١) سورة الصافات: الآيات (١٤ – ١٥).

(٢) سورة الفرقان: الآيات (٧ – ٩).

(٣) سورة الأعراف: الآية (١٤٦).

(٤) سورة غافر: الآية (٣٥).